ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي

حسن الشيخ

....

ملامح من الفكر الإداري

عند الإمام علي

....

حسن الشيخ

ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي

تأليف: د. حسن الشيخ

سنة الطباعة: 2010م.

عدد النسخ: 1000 **نسخة.**

الترميز الدولي: ISBM: 978-9933-439-28-6

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: 0963 11 5627060

تلفاكس: 0963 11 5632860

ص. ب: 259 **جرمانا**

❁ بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين ❁

إهداء

إ الروح الطاهرة

ال أملت علي ا روف

إ معلمي الأول

سيدي الوالد

*   *   *

مقدمة الطبعة الثانية

بين يدي القارئ الطبعة الثانية من كتاب (ملامح من الفكر الإداري في فكر الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام) الذي سبق إن طبع قبل زمن طويل في بيروت. والكتاب من تجاربنا الكتابية الأولى.

واليوم نعاود طبع الكتاب بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على طبعه للمرة الأولى، وأردنا أن نجدد الكتاب بإضافة العديد من الفصول، والأبحاث في مجال الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام. وحينما بدأنا العمل في هذا الأمر أصبح الكتاب كتاباً جديداً لا يمت بصلة لكتابنا الأول. فتوقفنا عن الكتابة والتجديد. وقمنا بإصلاح بعض الأخطاء الصغيرة، وإضافة بعض العناوين، وكتابة مقدمة جديدة لهذه الطبعة. أما ما هممنا بالقيام به من إضافات للكتاب، فقد وضعناها جانباً، حتى تصدر مستقبلاً في كتاب مستقل، وبعنوان جديد آخر. وأبقينا هذا الكتاب كما صدر للمرة الأولى إلا من بعض التعديلات الطفيفة هنا وهناك.

ولا حاجة لنا للتأكيد على أن الكتاب يعد من الأعمال الفكرية الأولى لنا، بالإضافة إلى أن الكتاب كتب في ذلك الوقت لكي يطبع داخل المملكة العربية السعودية، إلا أن ظروفاً عدة أجبرتنا – بعد كتابته – لطبعه في بيروت. ولهذين السببين فإن الكتاب، يتميز بالسهولة في الطرح، ويتماشى مع الاتجاه العام للأجواء الفكرية السائدة.

أما فكرة الكتاب فهي عميقة في مضمونها، لأنها تستهدف التطبيق العملي للأفكار الإدارية في صدر الإسلام الأول. وبالأخص عند الإمام علي بين أبي طالب عليه السلام. فقد شكل عصر الإمام وحكومته النموذج الأروع في تطبيق معظم النظريات الإدارية الحديثة التي يتباهى بها علماء الغرب اليوم.

واتكأنا في هذا الكتاب على كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام. فنهج البلاغة كتاب إنساني شامل في الحكمة والإدارة والأدب الرفيع، بل وكتاب شامل للعديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، واستشهدنا به كثيراً للتدليل على التطبيق العملي لمفاهيم الإدارة الحديثة التي استعرضناها مختصرة في الفصلين الأول والثاني من الكتاب، أما الفصل الثالث فقد أوردنا فيه العديد من المقاطع من خطب ورسائل الإمام علي عليه السلام المثبتة في النهج، والتي تحمل دلالات واضحة لنضج الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام. وأثبتنا في الهوامش معاني العديد من المصطلحات لكلمات الإمام علي عليه السلام، لإيضاح دلالاتها ومعانيها للقارئ.

نسأل الله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.....

حسن الشيخ

الدمام / السعودية ٢٠١٠ م

مقدمة

يدرك دارسو الإدارة اليوم أكثر من أي وقت مضى مدى الحاجة الماسة إلى دراسات مقارنة لمفاهيم ونظم الإدارة العامة في مختلف مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ابتغاء تجلية دورها الحقيقي في مجال التنمية الشاملة. والنهوض بكفاءتها ومواردها البشرية والمادية إلى مستوى تبعاتها في تحقيق التقدم الاجتماعي والاقتصادي المطلوب.

وينبع ذلك الإدراك من المرحلة الحرجة من تاريخنا الحديث التي يطلق عليها "المرحلة الانتقالية" والتي هي مرحلة تغيير حضاري بعد ركود نسبي عايشه الإنسان العربي المسلم حتى مطلع هذا القرن. ولا شك أن المرحلة الانتقالية تلك حدثت من تأثير الرياح القادمة من الغرب، ما أدى إلى ظهور حاجات وآراء وأفكار جديدة عند الفرد العربي، أدت في سبيل إشباعها إلى خلق أوضاع جديدة مغايرة لم نألفها من قبل. ومن أبرز هذه الأوضاع الفكرية الشك في موروثنا الثقافي وقدرته على المعاصرة والثبات، والإعجاب المطلق بالتيارات الوافدة.

وفي المجال الإداري كتب الكثير من أساتذة الإدارة مركزين اهتمامهم على مفاهيم الإدارة الحديثة ونظرياتها الوافدة، متناسين البدايات الإدارية التطبيقية في تاريخنا الإسلامي. والبعض الآخر استغنى بموروثنا الفكري الإداري عن ما استجد في هذا العلم من أفكار حديثة ومبادئ رائدة. أما هذه المحاولة فهي تحاول تجاوز تلك الإشكالين، وتنظر إلى العملية الإدارية باعتبارها تجربة إنسانية شاملة متكاملة الحلقات. وترى هذه المحاولة أن نظريات الإدارة الحديثة التي جاءت قبل

وفي مطلع هذا القرن، جاءت نتيجة لتطور الفكر الإداري في المجتمع الإنساني. ومن هنا فإن الإدارة وتطبيقاتها موروث جماعي للبشرية جميعاً، وما كانت البشرية تستطيع الوصول إلى أعلى درجات السلم الإداري لو لم تخط خطواتها الأولى على بدايات ذلك السلم.

في إطار هذه النظرية الشمولية، اقتبست المنظمات الإدارية الكثير من تلك النظم الحديثة وحاولت تطبيقها ولكن دون وعي منها باختلاف الأزمنة والأمكنة التي ولدت فيها تلك النظم الحديثة، وبدون إدراك لعلاقة الترابط بين هذه النظم وبيئاتها المحلية. مما أدى إلى إرباك لعمليات الإدارة في بيئة المنظمات الإدارية الداخلية منها والخارجية.

فتحولت الإدارة من مجموعة من النظم والمبادئ والأفكار والموارد تسعى إلى وضع الأهداف وتحقيقها من خلال وضع الخطط وتنظيم العمل والإشراف والرقابة عليه إلى إدارة مركزية قد يستغلها البعض لتحقيق أهدافه الخاصة بدلاً من تحقيق أهداف المنظمة المحددة.

وفي إطار هذه المحاولة – التي بين يديك – استعرضنا في الفصل الأول مفهوم الإدارة ومدارسها الحديثة التي جاءت نتيجة لتطوير الفكر الإداري الإنساني كما أشرنا، والتي لا غنى لأساتذة الإدارة وطلابها عن دراستها والإلمام بها، ومن ثم تكلمنا في الفصل الثاني عن الإدارة الإسلامية وذلك من النواحي التطبيقية التي مارسها الرسول الأكرم والخلفاء الراشدون من بعده. واستعرضنا في هذا الفصل أيضاً المبادئ الأساسية للإدارة الإسلامية من خلال استيعابنا للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وفي الفصل الثالث من الباب الأول، أخذنا نموذجاً لتطبيق الإدارة الإسلامية وذلك في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والباب الثاني من هذا الكتاب يحتوي على طائفة من النصوص من نهج البلاغة ذات الدلالات التنظيمية للمجتمع ولجهاز الحكم في الدولة الإسلامية. سائلاً المولى العلي القدير أن تكون محاولة موفقة تتبعها أخرى في المستقبل.

حسن محمد الشيخ

الدمام – ١٤١٠/١١/٢٤

الباب الأول

الإدارة قديماً وحديثاً

الفصل الأول

الفكر الإداري

مفهوم الإدارة:

عرف الإنسان الإدارة منذ القدم حينما أدراك أن منظماته الكبيرة لا يمكن إنجاز أعمالها فضلاً عن تحقيق الأهداف المرسومة لها دون نظام جماعي تعاوني. ولعل الإمبراطوريات المترامية الأطراف ومشاريع الري والمقابر الضخمة لهي أكبر دليل على أن الإنسان عرف الإدارة وعن طريقها استطاع تحقيق تلك المنجزات الهائلة.

إلا أن الإدارة بمفاهيمها الحديثة ونظرياتها الجديدة تختلف قطعياً عن الإدارة القديمة من حيث منهجيتها الموضوعية القائمة على التطبيق العلمي. بينما قامت مفاهيم الإدارة القديمة على مجموعة من النصائح والإرشادات الموجهة إلى الحكام والإداريين.

ومنذ أن بُدء في تدوين المعرفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بشكلها المنهجي برزت ست مدارس فكرية في المجال الإداري:

حركة الإدارة العلمية، مدرسة البيروقراطية، مدرسة مبادئ الإدارة، حركة العلاقات الإنسانية، منهجية النظم، وأخيراً نظرية الموقف.

ولكن يجدر بنا وقبل الدخول في شرح تلك المدارس الإدارية أن نطرح سؤالاً مهماً: ما هي الإدارة؟

عرفها دونالد كلو ١٩٦٨ بأنها "**فن قيادة وتوجيه أنشطة جماعة من الناس نحو تحقيق هدف مشترك**".[١]

وتعرف أيضاً بأنها "**نشاط إنساني متعاون لتحقيق أهداف مشتركة على أحسن وجه وفي أقصر وقت وبأقل التكاليف**".[٢]

ويمكن ملاحظة أن التعريف السابق يجمع بين الصفة الإنسانية والفنية للعمل الإداري بالإضافة إلى أنه لم يحدد وظيفة بذاتها بل جاء عاماً.

ومن التعاريف النموذجية للإدارة العامة أنها "**تنظيم وإدارة الأفراد والمواد لتحقيق الأهداف الحكومية**".[٣]

وتعرف أيضاً بأنها "**فن وعلم إدارة الأعمال مطبقين في مجال شؤون الدولة**"[٤] كما يمكن تعريف الإدارة بأنها "**عملية اجتماعية مستمرة**

1-Donald J. Clough, Concepts in Mangement Science, Prentece – Hall, India 1968, p 27

2 د. محمد نور الدين عبد الرزاق، مبادئ علم الإدارة، سلسلة الكتاب الجامعي. جدة، ص٢٤.

3 دوايت والدو، دراسة الإدارة العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص٢٢.

4 المرجع السابق ص٢٢.

تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً أمثل عن طريق التخطيط والقيادة والرقابة للوصول إلى هدف محدد".[1]

ويتضح لنا من خلال التعاريف السابقة أن تعبير الإدارة العامة يحوي مفاهيم متعددة[2]. ويعود السبب لكون الإدارة العامة علماً إنسانياً إما بقصد نشاط محدد أو يشير إلى نوع من أنواع الدراسة، وأخيراً قد يقصد به هيئة إدارية ما. إلا أن التعريف الأخير قد يكون أفضل التعاريف السابقة الذكر ذلك لأن الإدارة "عملية" أي نشاط حركي يتكون من سلسلة من النشاطات المتعاقبة وهذه النشاطات ذات علاقة بعضها ببعض ومكملة لبعضها. أما كون الإدارة عملية اجتماعية فهي من المجتمع وإليه، فالأهداف الإدارية الموضوعة يقوم عدد من الأفراد جميعاً في تحقيقها، فالمفهوم الاجتماعي نابع من وجود عدد من الناس يختلفون في قدراتهم ومؤهلاتهم ودوافعهم في نظام موحد لتحقيق النشاط الإداري الذي لا يتوقف، وتستمر الإدارة باستمرار المجتمع الذي تعيش فيه. وتعبر الموارد المتاحة عن ما يلزم الإدارة لأداء نشاطها وتنحصر في ثلاثة أشياء: العنصر الإنساني لأن الإنسان هو المحرك الرئيسي للعملية الإدارية وبدون القوى العاملة لا يمكن أن تكون هناك إدارة، وثانياً الموارد المادية وتتكون من الأموال والمعدات والآلات والأدوات التي يجب توفرها لكي تقوم الإدارة بأنشطتها المختلفة، أما تعبير استغلال الموارد فهي كفاءة الإدارة في استخدام تلك الموارد المتاحة استغلالاً أمثل أي تحقيق أقصى

---

1 د. علي محمد عبد الوهاب، مقدمة في الإدارة، معهد الإدارة العامة، ١٩٨٢، ص١٣.

2 د. سيد الهواري، الإدارة، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤.

الفائدة من تلك الموارد بأقل التكاليف الممكنة عن طريق وظائف الإدارة المتعددة من تخطيط وتنظيم وقيادة ورقابة[١].

تطور الفكر الإداري:

إن تاريخ الإدارة في الواقع لازال أكثره غير مدون إلا أن الخطوط العريضة في الحضارات القديمة واضحة من دلالاتها الموجودة اليوم، أما علماء التاريخ فكانت الزوايا التي يكتبون بها تاريخ الأمم تركز على عظماء الرجال والحروب وحضارات البناء أحياناً إلا أنه ومن خلال تاريخ الشعوب يمكن إلقاء الأضواء على التطورات الإدارية في العصور الغابرة[٢]. وسوف نهتم الآن بدراسة تطور الإدارة ذات المنحى الأكاديمي المكتوب منذ أواخر القرن التاسع عشر[٣]، ذلك لأن ما كتب منذ ذلك التاريخ يعد تحولاً فجائياً في التفكير البشري.

---

1 راجع د. علي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ١٣ – ١٩.

2 راجع دوايت والدو، مرجع سابق، ص ٥٣.

3 د. محمد عبد الفتاح ياغي، مبادئ الإدارة العامة، جامعة الملك سعود، ١٩٨٣، ص ٢٥.

الفصل الثاني

نظريات الإدارة الحديثة

حركة الإدارة العلمية :

وقد ترتبط هذه الحركة إلى حد كبير باسم فريدريك تايلور الذي دعت حركته إلى أن يكون هدف الإدارة الرشيدة هو زيادة الإنتاج مع خفض التكاليف[1] . وترى هذه الحركة أنه لا يمكن الوثوق بالعامل لأنه كسول بطبعه لذلك فإن الحل الأمثل هو أن تتبنى الإدارة الطريقة العملية والتي تهدف إلى تقسيم الأعمال الإدارية والتنفيذية ، فالتخطيط والتنظيم وظائف يختص بها الإداريون، بينما تعطى الأعمال التنفيذية للعمال.

---

1 راجع د. حامد سوادي عطية، العملية الإدارية، الرياض، معهد الإدارة العامة ١٤٠٨، ص١٨.

- **أيضاً د. محمد سعيد عبد الفتاح، الإدارة العامة، الإسكندرية، المكتب المصري الحديث، ١٩٧٣، ص٥٣**
- **أيضاً د. عبد الغني بسيوني عبد الله، أصول علم الإدارة، الإسكندرية، الدار المصرية الحديثة، ١٩٧٣، ص٨٤.**

كما أن الطريقة المثلى لأداء كل عمل هو دراسة الطريقة السليمة التي يمكن أن يتم بها إنجاز هذا العمل وتقسيمها إلى وحدات صغيرة مكونة من حركات وتوقعات، ثم تحليل هذه الحركات وقياس الزمن اللازم لأدائها مع استبعاد الحركات والخطوات غير الضرورية.

ومن خلال تلك المعلومات تستطيع الإدارة أن تقرر كمية إنتاج العامل الفرد وتستطيع السيطرة على الإنتاج والعامل أيضاً حتى يمكن أن تحقق الإدارة الكفاية الإنتاجية والكشف عن الخسارة الكبيرة النابعة عن عدم الكفاءة. وكان تايلور يؤكد أن عدم الكفاءة يمكن علاجه بالاستناد على قواعد ومبادئ وأسس علمية[١].

ويقدم تايلور مجموعة من المبادئ الرئيسية التي يجب على الإدارة أن تتبعها لتحقيق الكفاية الإنتاجية في الأداء:

١. إحلال الطرق العلمية محل الطرق البدائية في إدارة الأعمال.
٢. الأخذ بمبدأ تقسيم العمل بين الإداريين والتنفيذيين.
٣. تحديد الطريقة العلمية المثلى لأداء كل عمل.
٤. دفع الأجور حسب كمية الإنتاج.

---

1 راجع محمد بهجت جاد الله كشك، أسس الإدارة العلمية، ص ٣٨.ايضاً D. Gvishiani, Organization and Management, Moscow : Progress Publishers, 1972, p. 177

البيروقراطية:

اشتقت كلمة بيروقراطية من كلمة "**Bureau**" ومعناها مكتب في اللغات الأوروبية، أي تنظيم الدولة ومؤسساتها عن طريق المكاتب[1].
والبيروقراطية في الإدارة الحديثة تعني تنظيم العمل الإداري على أساس التخصص وتقسيم العمل على وظائف متعددة متدرجة المستويات هرمياً. يتم العمل داخل الهرم الإداري ضمن ضوابط محددة سلفاً، وقواعد وإجراءات مكتوبة للموظف يتصرف كما تمليه عليه تلك القواعد والإجراءات ضمن وثائق ومستندات مكتوبة.

إما مفهوم عالم الاجتماع المشهور ماكس فيبر للبيروقراطية فإنه يختلف عن ما هو شائع اليوم من أمراض البيروقراطية " كالروتين الطويل" و" الإجراءات المعقدة". فعندما وضع فيبر نموذجاً مثالياً للمنظمات الكبيرة قصد وضع وسيلة لإدراك وفهم تلك المنظمات المعقدة.

خصائص البيروقراطية:

- **الأخذ بنظام المراسلات الحكومية من وضع سجلات ووثائق لجميع الأعمال والاحتفاظ بها.**
- **العمل بنظام التأمين أو الأمن الوظيفي من خلال ميزات هي التوظيف الثابت والراتب التقاعدي.**
- **الأخذ بنظام صارم لتحديد سير وإجراءات العمل.**

---

1 د. ماجد راغب الحلو، علم الإدارة العامة، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص٤.

- **الوظيفة تعطى للموظف الأكثر جدارة.**
- **الأخذ بمبدأ توزيع العمل وفقاً للتخصص، وتُحدد مهام كل موظف في النموذج البيروقراطي.**
- **وضع هيكل تنظيمي يشتمل على جميع وحدات المنظمة لكي يحدد مهام وعلاقات الموظف مع** رئيسه ومرؤوسيه.

ويمكن القول إن المنظمات البيروقراطية لا تتعلم من أخطائها بسهولة. ذلك أن القواعد والإجراءات الموضوعة لسير العمل لا يتم استبدالها إذا لم تؤدِ النتائج المطلوبة. بل تقوم الإدارة البيروقراطية بتعديل وشرح نفس القواعد والإجراءات وفرضها بشدة على المنظمة[١].

ومن عيوب البيروقراطية اتهامها للموظف بالكسل وعدم الرغبة في بذل الجهد وتركيزها على النظم والإجراءات[٢]. كما وأن تركيز السلطة في يد الرئيس هو عيب آخر بالإضافة إلى إهمال العلاقات الإنسانية داخل النموذج البيروقراطي[٣].

مدرسة العلاقات الإنسانية:

يطالب أصحاب هذه النظرية من أمثال ماري فوليت وألتون مايو وهربرت سيمون وغيرهم بدراسة العامل كإنسان دراسة عميقة بحيث تمكن من تحفيزه على العمل بجدية عالية، ويتم ذلك عن طريق إشباع

---

1 د. حامد سوادي عطية، مرجع سابق، ٥٣

2 د. ماجد راغب الحلو، مرجع سابق، ص ٨.

3 د. أحمد صقر عاشور، الإدارة العامة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٨٥.

البعض من حاجاته في مجال العمل الذي يقضي فيه أغلب فترات يقظته[1].

ولقد اختار الباحثون أماكن العمل ميداناً لإجراء العديد من التجارب والدراسات بهدف وضع مبادئ لمدرسة العلاقات الإنسانية.

ومن تلك الدراسات الأولى التي أجريت دراسة تمت بمصانع هاوثورن التابع لشركة ويسترن إليكتريك بشيكاغو. وكانت تتعلق بأثر عدد وطول فترات الراحة – خلال ساعات العمل – على مقدار إنتاجية العمل، بالإضافة إلى دراسات أخرى متعلقة بأثر الحافز المادي والمعنوي على الكفاية الإنتاجية لدى العامل. ولقد برهنت تلك الدراسات على أن إنتاجية الفرد تزداد بازدياد مقدار فترات الراحة خلال ساعات العمل. كما أن كبر مقدار الأجر الذي يتقاضاه له علاقة وثيقة بزيادة الإنتاج[2].

ولقد ساهمت مدرسة العلاقات الإنسانية في تطوير الفكر الإداري وذلك بتقديمها التحليل العملي للإمكانيات السيكولوجية للأفراد، حيث يمكن عن طريق رفع روحهم المعنوية رفع الإنتاج وتحسينه. ولقد أصبح الاهتمام بهذا الجانب السلوكي السيكولوجي واسعاً في الوقت الحاضر، وموضوعاً للبحث والتدريس في الجامعات والمعاهد.

منهجية النظم:

بالرغم من إسهامات مدرسة العلاقات الإنسانية إلا أن الفكر الإداري لم يتوقف عندها، بل تعداها إلى تحليل المنظمة لدراستها

1 د. محمد نور الدين عبد الرزاق، مرجع سابق، ص ٢٠.

- أيضاً د. علي السلمي، العلاقات الإنسانية في الصناعة الحديثة، منشورات الأهرام الاقتصادية، القاهرة ١٩٦٨، ص١٦.

2 د. إبراهيم الغمري، الإدارة دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤١.

للوصول إلى "منهجية النظم" التي أحدثت تحولاً جذرياً آخر في تاريخ الفكر الإداري[1].

ويمكن تعريف النظام، بأنه مجموعة من العناصر والأجزاء المتحدة مع بعضها البعض في شكل هندسي ذي دلالة إدارية. ولقد عرفت المنظمات الإدارية بأنها أنظمة تتكون من وحدات تنظيمية مرتبطة مع بعضها ولها أهداف مشتركة. وهذه المنظمات إما أن تكون منظمات إدارية منفتحة على البيئة بحيث يتاح للمنظمة خاصية الحصول على الموارد المختلفة وتصريف مخرجاتها، أو تكون منغلقة ليست لها علاقة بالبيئة[2].

وتهدف منهجية النظم إلى دراسة علاقة المنظمة وتفاعلها مع بيئتها. وتقرر أن المنظمة لا يمكن أن تكون فعالة إلا إذا استطاعت الحصول على مواردها اللازمة من البيئة. وتختلف تلك الموارد باختلاف نشاط المنظمة فإما أن تكون موارد بشرية أو مادية أو معنوية أو جميعها. كما أن مخرجات المنظمة مرتبطة بمدخلات تلك المنظمة من بيئتها الإدارية.

لذلك فإن التعامل مع البيئة أصبح شرطاً لنجاح المنظمات الإدارية. ولا نود أن نبالغ في اعتماد المنظمة على البيئة متناسين أهمية العوامل الداخلية في المنظمة أيضا. لذلك فإن "منهجية النظم" ركزت على ضرورة فهم المنظمة ككيان شامل قبل الشروع في فهم أجزائها وعناصرها الفرعية.

---

1 د. حامد سوادي عطية، مرجع سابق، ص ٣٨.

2 د. شوقي حسين عبد الله، أصول الإدارة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص ٤٧٨ – ٤٧٩.

وفي ضوء ما تقدم ذكره حول التنظيم الإداري على مبدأ منهجية النظم وما حددته هذه النظرية من مدخلات وعمليات ومخرجات فإن للتنظيم الفعال خصائص يجب إن يتصف بها[1] :

أن يتميز بنظام واضح ومحدد لاتخاذ القرارات يحظى بقبول أعضاء التنظيم جميعاً.

- أن يتميز بوجود معايير وأسس واضحة يتم اتخاذ القرار على أساسها.
- أن يتصف بدرجة عالية من مركزية اتخاذ القرارات، سواء الاستراتيجية منها أو التكتيكية.
- أن يتصف التنظيم بدرجة عالية من الاستقلال، وحرية الحركة أي أن يكون للتنظيم درجة عالية من الحرية في اتخاذ القرارات فيما يتعلق بأساليب وإجراءات الوصول إلى الأهداف المقررة دون الرجوع إلى سلطة أعلى خارج التنظيم.

يجب أن يسير التنظيم الإداري ضمن فلسفة إدارية واضحة وإيديولوجية تنظيمية محددة، الأمر الذي يجعله أكثر فعالية من التنظيمات التي لا يعرف حتى المرؤوسون فيها إلا القليل عن أهدافها الإدارية وفلسفتها.

---

1 يعقوب نشوان، الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢، ص ٢٧.

نظرية الموقف:

يمكن النظر إلى جوهر نظرية الموقف على أنها علاقة شرطية بين متغيرين أساسين، أو شرط ونتيجة. إذا تخلف الموظفون عن أداء وظائفهم الإدارية إذن يجب على المدير تشديد الرقابة عليهم. كما يمكن النظر إلى نظرية الموقف على أنها امتداد فكري لمنهجية النظم المفتوحة في الإدارة[1] . وعلى ذلك فإن أفكار نظرية الموقف تتلخص في عبارة "أن كل شيء يعتمد". أي أن خصائص المنظمة وظواهرها السلوكية لا يمكن إدراكها وفهمها دون دراسة العوامل والظروف الأخرى المحيطة بها. فإذا أردنا دراسة تنظيم محدد فلابد من دراسة العلاقات بين عناصر التنظيم نفسه بالإضافة إلى ما يرتبط بهذا التنظيم من عوامل تؤثر فيه وتتأثر به سواء كانت هذه العوامل خارجية أو داخلية.

وتجدر الإشارة إلى أن نظرية الموقف قد تطورت عبر مرحلتين أساسيتين. الأولى منذ ظهور البحث الذي أجرته جوان ودوارد في إنكلترا. وقد تميزت تلك المرحلة بالاهتمام بدراسة التنظيم وسلوكيات المنظمة من خلال تأشيرات عوامل موقفية مقننة، ولقد اعتبرت أن تأثيرات هذه العوامل تأثيرات حتمية على المنظمة، فصفات التنظيم وحجمه له علاقة بالعوامل الاقتصادية للمنظمة، أما المرحلة الثانية ففيها تحول الاهتمام إلى دور الإدارة واستجابتها لتأثيرات تلك العوامل المختلفة من خلال الاستراتيجية التي تضعها المنظمة لنفسها.

---

1 حامد سوادي عطية، مرجع سابق، ص٤٠.

الإدارة في الفكر الإسلامي

الإدارة الإسلامية :

إن المقصود بالإدارة الإسلامية هي تلك المجموعة من الآراء والمبادئ والأفكار والنظريات والتي تفي بتنظيم المجتمع والدولة والتي تستند أساساً إلى توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويرشدنا القرآن الكريم إلى كثير من ضوابط التفكير الاجتماعي وإلى تحديد العلاقات التجارية وسائر النشاطات البشرية الجماعية الهادفة[١] .

ومن أمثلة تلك الضوابط قوله جل شأنه في سياسة الإنفاق الحكيمة التي يلتزم بها المؤمنون في سورة الفرقان: "والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً[٢]". ومن توجيهات الفكر الإداري السليم في القرآن، والتي تهدي إلى كثير من المبادئ والأساليب الإدارية القويمة قوله تعالى: "وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى"[٣] .

---

1 د. حمدي أمين عبد الهادي، الإدارة العامة العربية المعاصرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٦، ص٣١.

2 سورة الفرقان آية(٦٧).

3 سورة النجم آيات (٣٩- ٤١).

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمة توجيهات سامية، يمكن اعتبارها ركائز للفكر الإداري الفعال. كما وأن أي إصلاح إداري حديث لابد له من دلالات ما تنطوي عليه الآية من توجيهات سوية:

التوجيه الأول: "وإن ليس للإنسان إلا ما سعى". يعني أن قيمة الإنسان بما يؤدي من عمل. فلا يمكن لعوامل النسب ولا المحاباة أن تقدم فرداً على آخر بل إن الاستحقاق يجب أن يتم على أساس العمل، والذي وحده هو مناط المسؤولية الشخصية[1]. ومن هنا كان الأساس في الإدارة الحديثة التوجه إلى العمل ودراسته ودراسة عناصره ومكوناته والظروف المحيطة به والزمن اللازم لأدائه.

التوجيه الثاني: "وإن سعيه سوف يرى" تقرر الآية الكريمة دور الإشراف وأهميته. فما دام أن الإنسان يعمل فإن عمله يتعين رؤيته بواسطة الآخرين. لذلك فعلى الفرد العامل أن يحسن ما يؤدي من عمل لإدراكه بأنه مراقب من قبل رئيسه ومن الله سبحانه وتعالى[2].

التوجيه الثالث: "ثم يجزاه الجزاء الأوفى" لأن المتابعة للعمل المؤدى تستهدف الجزاء الكثير على ما قام به إن ثواباً أو عقاباً.

وهذا ما ذهبت إليه المدارس الإدارية الحديثة من مكافأة الفرد العامل والأخذ بمبدأ التحفيز على العمل.

هذا هو نموذج إسلامي رائع من هدي القرآن الكريم في مجال الفكر الإداري. أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال "ألا

---

1 حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي و المقارن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣١- ٣٣.

2 حمدي أمين عبد الهادي، المرجع السابق، ص٦٠.

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". وهذا هو ما دعا إليه بعض رجال الفكر الغربي من مبدأ تلازم السلطة والمسؤولية في عصرنا الحديث. ولكن الإسلام له السبق في هذا بالإضافة إلى السمو الاجتماعي والإنساني عندما استخدم لفظة الرعاية بديلاً من لفظة السلطة ذات الدلالة الاستغلالية. الكل قادة ورؤساء الحاكم مسؤول عن الأمة والأب مسؤول عن الأسرة والأستاذ مسؤول عن تلاميذه.

وهنا ندرك أن التطبيق الإداري في بداية قيام الدولة الإسلامية بقيادة النبي والخلفاء الراشدين تستمد توجيهاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية. لكن الانحراف الإداري فيما بعد شجع بعض علماء المسلمين للتأليف في حقل الإدارة فألف الماوردي وأبو يعلى في الإدارة الحكومية العامة كتاب الأحكام السلطانية، كما ألف أبو يوسف بناء على طلب الخليفة هارون الرشيد في مجال الإدارة المالية كتاب الخراج وغيرهم أيضاً من الرواد ممن أشاد بمؤلفاتهم مؤخراً الفكر الإداري من علماء الإدارة الغربيين[1]. كما أن للفكر الإداري الإسلامي جوانب تطبيقية ذات منهج مميز له أدواته وأساليبه ونظمه الإدارية التي انفرد وعرف بها عن غيره من المناهج الأخرى. كما تضمن الفكر الإداري الإسلامي مبادئ إدارية ذات مدلول تطبيقي في المجتمع الإسلامي[2]. وسوف نعرض بإيجاز لسمات الإدارة العامة في بدايات العصر الإسلامي ونماذج تطبيقها.

---

1 حمدي أمين عبد الهادي، الإدارة العامة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص ٣٤.

2 محمد بهجت جاد الله كشك، أسس الإدارة العامة، مرجع سابق، ٣٠.

العهد النبوي:

لقد وضع القرآن الكريم ركائز الإدارة النبوية ونظرياتها ، لذلك فقد اتسمت الإدارة العامة في عهد النبي بالوضوح والبساطة في التعامل مع الموظفين. ولقد كان الموظفون ثلاثة أنواع: الولاة والعمال والقضاة، يقوم الرسول بتعيينهم مباشرة بعد التأكد من مقدراتهم وإمكانياتهم ونزاهتهم عملاً بقوله تعالى: "إن خير من استأجرت القوى الأمين"[1] .

وكان الرسول يقول "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله". لذلك فقد كانت الجدارة صفة ضرورية عند الفرد لشغل الوظيفة العامة في الدولة. كما أن الوظيفة لابد وأن تسد حاجات المواطنين وتلبي خدماتهم المدنية المختلفة[2] .

ولقد كان اختيار "الموظف العام" في العهد الأول يتم بدقة متناهية من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك فلم يذكر التاريخ أن قدمت شكاوي ضد أي موظف، وليس مستغرباً فالصحابة رضي الله عنهم قويو الشعور بالمسؤولية وعلى درجة عالية من العلم والزهد والتقوى.

وكان الرسول يحاسب عماله على المستخرج والمصروف بدقة متناهية ويرفض أن يستعمل رجلاً على الصدقات ويقول الرجل هذا لكم وهذا أهدي إلي، وهذا الدستور النبوي تتبناه اليوم معظم أنظمة الخدمة

---

1 سورة القصص، آية ٢٦.

2 حمدي أمين عبد الهادي، الإدارة العامة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ٢٦.

أيضا مولوي حسيني في "الإدارة العربية" ص ٤٨.

المدنية في العالم، فالهدايا للموظف لم تعط لشخصه بل أعطيت للوظيفة التي يشغلها فهي بحكم الرشوة المقنعة[1].

عهد الخلفاء الراشدين:

لقد عرف الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم مبدأ تلازم السلطة والمسئولية. فالخليفة لم يكن رئيساً لدولة يملك الصلاحيات المطلقة فقط بل كان مسؤولاً عن كافة المسلمين، يتفقد أحوالهم ويدفع ظلامتهم وحتى لو كان الخصم موظفاً كبيراً كالوالي[2].

ففي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه توجد سنة تجريبية للموظف حتى تثبت جدارته وقدرته في العمل وعلى ضوئها يتحدد استمراره في العمل أو عزله. قال ليزيد بن أبي سفيان عامله على الشام "إني قد وليتك لأبلوك وأجربك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك"[3].

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأكدت مفاهيم الإدارة كخدمة عامة للمجتمع. روي عنه قوله للناس: "إنني لم ابعث إليكم الولاة ليضربوا أبشاركم ويأخذوا أموالكم ولكن ليعلموكم ويخدموكم".

ولقد كان عمر رضي الله عنه عندما ينصب والياً أو عاملاً على مصر من الأمصار يعطيه عهد تعيين يحتوي على أمر تنصيبه وتحديد

---

1 راجع أيضاً محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ١٩٣٤، ص ١٣.

2 الرائد محمد العلي، الوجيز في الإدارة العامة، الدار السعودية، ١٩٨٤، ص ١٠٨.

3 مولوي حسيني، الإدارة العربية، مرجع سابق، ص ٨٣.

صلاحياته وسلطاته ويحدد فيه أيضاً واجباته كموظف عام يخدم في الدولة الإسلامية. ويعلن خبر تعيينه في المسجد حتى يعرف كل موظف حقيقة سلطات الموظفين (والولاة) وواجباتهم[1].

وفي عهد الإمام علي كرم الله وجهه وبعدما توسعت الدولة الإسلامية استحدثت أساليب حديثة في اختيار العاملين وتحفيزهم ومراقبتهم وهذا ما سنتعرض إليه بشيء من التفصيل في الفصل الثالث إن شاء الله.

المساواة:

لقد اهتم الإسلام بالمساواة النزيهة بين الأفراد، وحرص على عدم التفرقة بينهم على أساس عرقي أو طبقي إنما الإدارة الجيدة والتقوى هي الفيصل في التمييز بينهم[2]. ومن هذا المنطلق فإن الناس سواسية أمام القانون والقضاة وفي التمتع بالحقوق العامة دون النظر إلى الأصل أو اللون أو الثروة[3].

ومن هنا كان مبدأ المساواة من مبادئ الإدارة الإسلامية الذي هو أيضاً وثيق الصلة بمبدأ العدل أو هو صورة من صوره. وقال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم، إن الله عليم خبير"[4]

---

1 محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ١٩٣٤، مرجع سابق، ص ٤٥.

2 محمد بهجت جاد الله كشك، أصل الإدارة العامة، مرجع سابق، ص ٣٠.

3 د. محمد نور الدين عبد الرزاق، مبادئ الإدارة، مرجع سابق، ص ١١٦.

4 سورة الحجرات، أية ١٣.

الشورى:

وهي من المبادئ الرئيسية التي أتت بها الشريعة وتبنتها الإدارة العامة الإسلامية ، ويحث هذا المبدأ على الاستفادة من آراء وخبرات الآخرين وينهى عن كل شكل من أشكال القيادة الاستبدادية. قال تعالى:

"وأمرهم شورى بينهم"[١] . وهو مبدأ بوضوحه يمكن اعتباره مادة أساسية من مواد "النظرية الإسلامية" ومبدأ فعالاً فيها[٢] . ومن وضوح لفظة الشورى إلى دلالتها. إن القرآن الكريم لم يحدد نطاقاً معيناً للشورى، فهي عامة في الإطلاق وهذا يتماشى مع الأحكام الشرعية الإسلامية التي لها صفة الخلود لكي تتفق مع البيئات والعصور المختلفة. كما أن كلمة أمر هي أيضاً ذات طابع شامل تشير إلى كافة الأمور الحياتية.

و القيادة الديمقراطية ـ الشورى ـ تعد من أفضل القيادات الإدارية لأنها ضمانة لحسن سير الإدارة العامة الملتزمة بالأنظمة والقواعد والتعليمات عن دراية واقتناع. أما القيادة الاستبدادية فهي تصدر القرارات والأنظمة للعاملين في الجهاز الإداري للدولة دون مشاركة من المختصين في إعدادها وتحري المصلحة العامة[٣] . لذلك فإن القيادة الإسلامية "الشورى" هي أفضل القيادات الإدارية.

---

1 سورة الشورى، آية ٣٨.

2 محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة محمد ماضي، بيروت، ١٩٦٤، ص ٨٩.

أيضا راجع د. محمد يوسف موسى، مرجع سابق ص١٣٣، ود. عبد الحميد متولي، مرجع سابق، ص ٦٧، ومحمد كرد علي، مرجع سابق، ص٩٦.

3 د. سعيد عبد المنعم الحكيم، الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية و النظم المعاصرة، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٠٦.

ولقد طبق الرسول صلى اللّه عليه وسلم هذا المبدأ تنفيذاً لقوله تعالى:

"وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على اللّه إن اللّه يحب المتوكلين"[1]. في العديد من المواقف، ولعل أشهرها عندما استشار أصحابه في اختيار مكان تقيم فيه القوات الإسلامية في معركة بدر الكبرى.

و كذلك سلك من بعده الخلفاء الراشدون حيث طبقوا هذا المبدأ الإسلامي خلال إدارتهم لأجهزة الدولة الإسلامية فكانوا لا يبرمون أمراً من الأمور دون مشورة المسلمين وأخذ رأيهم فيه.

تلازم السلطة والمسؤولية:

لقد أشرنا من قبل إلى أن المسؤولية تقترن بالسلطة حينما وضح الرسول الأكرم ذلك في قوله: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". كما أن تلازم السلطة والمسؤولية في الإدارة الإسلامية لا يمنع من تحديد مسؤوليات وسلطات القادة والرؤساء. فالرسول صلى اللّه عليه وسلم حدد مسؤوليات لأصحابه فمنهم من كان يقوم بكتابة الوحي، ومنهم من يقوم بكتابة أموال الصدقات والآخرون أمراء للجيوش وهكذا.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حينما أنشئت الدواوين المختلفة اتضحت سلطات ومسؤوليات كل ديوان الإدارية.

---

1 سورة آل عمران، آية ١٥٩.

ولقد قسمت الدولة الإسلامية إلى ولايات ومقاطعات وكان الخليفة يعين عليها الأمراء مع توضيح مسؤوليات الأمير وحدود صلاحياته. بينما الخليفة رئيس الدولة يدير شؤون الدولة الإسلامية من عاصمتها المدينة المنورة. وقد تكون صلاحيات هذا الأمير عامة وصلاحيات الآخر خاصة. فإذا شملت الولاية جميع الأمور بما فيها جباية الأموال سميت ولاية عامة، أما إذا لم تشتمل على جباية الأموال سميت إمارة خاصة[١].

الرقابة والمحاسبة:

وهو ما يعرف اليوم بالرقابة الإدارية حيث يقوم هذا المبدأ في الإدارة الإسلامية على أساس مراقبة ومحاسبة أمراء الولايات والولاة والقادة ومحاسبتهم على ما يقع منهم من أخطاء أو تجاوزات[٢].

ولقد أوضحنا سابقاً أن من مبادئ الإدارة الإسلامية اختيار الموظف الأحسن للقيام بأية مهمة في الدولة الإسلامية. ثم تحدد صلاحيات هذا الموظف واختصاصاته، لهذا كان لزاماً على الإدارة الإسلامية أن تراقب ذلك الموظف لكي تتحقق من إنجاز ما أوكل إليه من مهام وعلى ضوء ما حدد له من اختصاصات.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراقب ولاته على الأقاليم الإسلامية ويتابع إنجازاتهم ويحاسبهم، وكان خلفاؤه من بعده يجلسون لسماع المظالم التي تقدم من عامة الناس ضد أي من عمال الدولة

---

1 أبو يعلى محمد بن حسين، الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٤.

2 انظر د. أحمد شلبي، المجتمع الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٥.

د. علي عبد الواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٤٥.

وكانوا يفصلون فيها بأنفسهم[1]. وأشرنا سابقاً إلى نشأة الدواوين في عهد عمر بن الخطاب ودونت السجلات للأمور الهامة في الدولة كالخراج وأرزاق العاملين عليها، فكان على كل وال أن يقدم عند تعيينه قائمة بكل شيء تحت يديه، ثم يراقب أي زيادة في ممتلكاته، ولقد كان الأمراء والولاة في عهد عمر عرضة للكشف عن ما في حوزتهم مهما بلغت منزلتهم. ثم تطورت إلى أن أصبحت دواوين تختص بالرقابة والمحاسبة الإدارية والقضائية[2].

---

1 مولوي حسيني، الإدارة العربية، مرجع سابق، ص ٨٤.

2 انظر د. سعيد عبد المنعم الحكيم، الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٢٩.

محمد كرد علي، الإسلام والحضارة الغربية، ج ٢. ١٩٦٨، ص ١٦٨.

د. سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٤١٢.

الفصل الثالث

تطبيقات الإدارة الإسلامية

نهج البلاغة والإمام علي:

يعتبر (نهج البلاغة) للإمام علي رضي الله عنه كتاباً إنسانياً رائعاً بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى. فهو إنساني باحترامه للإنسان وحقوقه وبنفعه للمجتمع الإنساني عامة، و(نهج البلاغة) من ناحية أخرى هو مثال الإنتاج الفني الرفيع ومثال للإنجاز الإسلامي السامي حتى أصبح الاطلاع عليه والأخذ من عطائه أمراً لا غنى عنه لطلاب المعرفة ولطلاب الحقيقة. ولا عجب في ذلك فالإمام علي ابن الإسلام الناصح الذي لم يبخل على الإسلام بسيفه ولا بفكره. فأمد الحضارة العربية بذلك الأدب العربي الراقي والفكر الإنساني الخالد ممثلاً بنهج البلاغة بكل طاقاته الاجتماعية وأفكاره التربوية والإدارية وآرائه العملية ومعانيه النابضة الحية.

ولقد لجأ إلى "نهج البلاغة" كبار الأدباء والمفكرين ينهلون من معانيه تفكيرهم ويصيغون بكلماته أسلوبهم فأكسبهم ما وصلوا إليه

من مكانة رفيعة لم يكونوا عليها قبل أن يرتووا من نمير نبعه الصافي وحوضه المليء[1]، ومن هؤلاء:

ـ عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢هـ يقرر هذه الحقيقة حيث يقول: "حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت".

ـ عبد الله بن المقفع المتوفى سنة ١٤٢هـ يؤكد هذا المعنى بقوله: "شربت من الخطب رياً، ولم أضبط لها روياً، ففاضت ثم فاضت، فلا هي نظماً وليس غيرها كلاماً".

ـ ابن نباتة المتوفى سنة ٣٧٤هـ يعترف بفضل "نهج البلاغة" فيقول: "حفظت من البلاغة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلا سعة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي ابن أبي طالب"[2].

ـ الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦هـ يزكي الحسن البصري بما حصل عليه من هذا الكنز فيقول: "كان بارع الفصاحة، بليغ المواعظ كثير العلم، وجميع كلامه أو جله لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فهو القدوة والغاية".

ولكن ما علاقة الإدارة الإسلامية بنهج البلاغة؟

لقد كان هم الإمام علي كحاكم إسلامي تطبيق الصيغة الإسلامية الصحيحة للحياة الإنسانية في المجتمع الإسلامي. لذا فقد كانت مشاكل السياسة والاقتصاد والإدارة والحرب هي شاغله الأول وهي ميدانه الحقيق كرئيس للدولة، فهو كحاكم عادل فكر في

---

1 طالب الحسيني الرفاعي، مع الإمام علي في نهجه، بيروت ١٩٨٦، ص ١٩.

2 راجع ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة الجزء الأول، ص ٨.

الدولة التي يحكمها وفكر في أفضل الأساليب والصيغ التي تنمي حياتها الاجتماعية وتضمن استقرارها في سلام وعدل. وبالرغم من كل ذلك فلم ينس علاقة الإنسان بربه وعلاقته بغيره وبذاته وهو القائل :

"عاتب أخاك بالإحسان إليه واردده بالإنعام عليه"[1]. وقال: "لتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك"[2]. وقال أيضاً:

"من عرف نفسه فقد عرف ربه"[3]

إذن كان هم الإمام علي أن يحافظ على مسؤوليات أجهزة الدولة الحقيقية ويعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية كمسؤول قيادي للأمة الإسلامية في جميع شؤونها الحياتية.

ولا نريد أن نزعم هنا أن الإمام علياً قد اخترع الإدارة الإسلامية، لأن الإدارة العامة الإسلامية هي مبادئ وقيم جاء بها الإسلام ولكن الإمام وكغيره من الخلفاء الراشدين طبقها عملياً في إدارة شؤون الدولة. ولقد كانت هذه المحاولة في التطبيق هي همه الأول وليس الوحيد. "إن الذي نريد أن نقوله هو أنه – كحاكم عادل – قد فكر في المجتمعات التي حكمها. وفكر في أفضل الطرق والوسائل التي تنمي حياتها الاجتماعية وترتفع بها إلى الذروة من الرفاهية والقوة والأمن، مع ملاحظة أنها تدين بالإسلام وأن شؤون اقتصادها، وحربها، وسلمها وعلائقها الاجتماعية

---

1 جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، دار الشروق، ١٩٨٢، ص ٢١٢.

2 المرجع السابق، ص ٢١٣.

3 المرجع السابق، ص ٢١٠.

تخض لقوانين الإسلام، وأنها يجب أن تأخذ سبيلها إلى النمو في إطار إسلامي بحت"[1].

وإذا أردنا فهم الإدارة الإسلامية فلا بد من الرجوع لنهج البلاغة. ففيه خطب الإمام ورسائله إلى الأمصار وكلماته ومواعظه والتي حوت على العديد من الجوانب الموضوعية التي لا يدرك فحواها إلا المختصون في شتى العلوم توحيداً وفلسفة وأخلاقاً وسلوكاً وسياسة. لذلك فد دأب الباحثون على النهل منه وشرحه وتفسيره والاستفادة من كنوزه العملية الضخمة. ونحن في هذا المجال نتتبع نصوص النهج للوقوف على معالم الإدارة العامة في سياسة الدولة الإسلامية عند علي ابن أبي طالب.

علاقة السياسة بالإدارة:

يمكن القول بأن الإدارة هي أداة الدولة الأولى في تحقيق أهداف وغايات السياسة في المجتمعات. وعلى ذلك فإن الإدارة هي وسيلة السلطة في مختلف نشاطاتها. وباتساع الدولة وتطورها بتزايد اعتمادها على الجهاز الإداري لوجود العديد من المجالات التي تقوم بها الدولة بمفردها مثل استخراج الثروات النفطية والمعدنية من باطن الأرض، أو استكشاف الفضاء وتعليم الأجيال.... لذلك فهي بحاجة إلى أجهزة إدارية مساعدة للسيطرة على نشاطات تلك المجالات الواسعة ومراقبتها. وتقوم الأجهزة الإدارية في الدولة بوظائف عديدة فهي تحدد المشاكل الاقتصادية والفنية وتطرح بدائل وحلولاً لمعالجتها. وتقوم بوضع وتعديل الكثير من الإجراءات الإدارية بما يلائم طبيعة العمل واحتياجاته. كما تقوم الأجهزة

---

1 محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، لبنان، ١٩٧٢، ص ١٧.

الإدارية بتفسير الخطوط السياسية العامة للدولة بوضع اللوائح والتنظيمات والعديد من التعليمات للأجهزة الفنية الأخرى[1].

وتتضح علاقة الإدارة بالسياسة أكثر باعتبار الإدارة أداة سياسية في مجال الدفاع والاستعداد للحرب، ولقد كانت قديماً تهتم الإدارة بتقسيم الجيش وتنظيمه ووضع الخطط الإدارية العسكرية للحرب ومازالت تمارس الإدارة دورها في هذا المجال[2]. فاليوم مع تطور الأسلحة القتالية وتطور استراتيجيات الحروب والدفاع فإن الدولة تبذل جهوداً مكثفة لجعل جيشها على أهبة الاستعداد الدائم لمواجهة أي خطر مفاجئ من العدو، لذلك فإن متابعة هذه التطورات والاستعداد الدائم عبء تلقيه الحكومات على أجهزتها الإدارية لتقوم بمسؤولياتها.

وتتشعب مهام الأجهزة الإدارية في الدولة لذلك فهي أداة سياسية أيضاً لدعم الوحدة الوطنية والإسلامية. وتحاول الأجهزة الإدارية تحقيق التكامل الوطني والوحدة الإسلامية بين القوميات المختلفة من خلال التنظيمات الإدارية وبرامجها، حينما ينخرط الأفراد من جماعات متعددة في إطار التنظيم الواحد[3]. وبالإضافة إلى كل ذلك فإن الإدارة أداة للسياسة في تطوير المجتمع.

---

1 د. حمدي أمين عبد الهادي، مرجع سابق، ص ١٦.

2 د. محمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع السياسي، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ٢٢٥.

3 **Irving M. Zeitlin: Ideology and the Development of Soviological Theory (Engle Wood – Cliff, Prentice – Hall, 19968) P. 305.**

ويقاس تقدم المجتمعات وتطورها بقدرتها التنظيمية العالية، وما إخفاق بعض الدول في نموها الاقتصادي والاجتماعي إلا نتيجة لعدم استطاعتها إدارة المصانع والمؤسسات بكفاءة وانتظام[1].

الحكم والإدارة عند الإمام:

وضحنا فيما سبق علاقة الإدارة بالسياسة وحتى نتبين منهاج الحكم والإدارة عند الإمام لابد من الرجوع لنهج البلاغة – كما ذكرنا سابقا – لنجد "نماذج للشكوى والتقريع والنقد – تعطي صورة واضحة عن نظراته الثاقبة وآرائه البعيدة في مبادئ السياسة، وأساليب حكم الرعية وإدارة شؤونها والحرص على دفع الفتن عنها، حتى تعيش في بحبوحة العز والرخاء"[2].

ولو تتبعنا لوجدنا أن للإمام آراء ومفاهيم إدارية قيمة في إدارة الحكم وسياسته في مهام وواجبات الحاكم الإدارية. بالإضافة إلى ذلك له آراء في كيفية انتقاء القضاة وتقسيم العمل ودور العلماء، ونجد أيضاً تطبيقاته العملية في مجال الرقابة والإشراف. ولقد حوت رسالته إلى مالك الأشتر النخعي العديد من هذه الأمور.

وفي عهد الأشتر حدد الإمام واجبات ومهام الموظف الإداري من العدالة النفسية في الرعية ومالها من حقوق. وذلك لكي يتمكن من العمل بعدل وإنصاف، يقول الإمام: " وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم

---

1 د. عبد الغفور يونس، دراسات في الإدارة العامة، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص ٧٠.

2 د. صبحي الصالح، نهج البلاغة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١١.

صنفان، إما أخ في الدين أو نظير لك في الخلق. تفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العهد والخطاء، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وتدخر أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، وولي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك! وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته"[١].

ولقد حوى عهد الإمام للأشتر النخعي على كل مبادئ القيادة الإسلامية العادلة وما يجب أن تقوم به من مسؤوليات في حياة الأمة وفي استمرار الدولة من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. كما حدد عهد الأشتر بوعي كل ما يحتاجه المجتمع وما يمكن للحاكم المثالي الالتزام به عبر مبادئ ومسؤوليات القيادة كي يحقق أماني الأمة التي يقودها. فيضيف الإمام :

"ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن[٢] بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة[٣] وجدت منها مندوحة[٤] ولا تقولن إني مؤتمر آمر فأطاع، فإن ذلك إدغال[٥] في القلب، ومنهكة[٦] للدين وتقرب من الغِيَر[٧] وإذا أحدثت لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فأنظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته

---

1 ابن أبي الحديد، شرح لنهج البلاغة، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٩٦٣، ص ٨٥.

2 بجح بالشيء: فرح به.

3 البادرة: ما يظهره من حدة وغضب.

4 مندوحة: متسع ومخرج.

5 إدغال: إفساد

6 أنهكه: أضعفه

7 غير الزمان: حادثات الزمان وأوله الدول

منك على مالا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن[1] لك من اطماحك[2] ويكف عنك من غربك[3] ويضيء إليك بما غرب عنك من عقلك ".

هذه واجبات الحاكم – الموظف الإداري – ومن أولى هذه الواجبات أن يملك هواه ويشح بنفسه حتى يتمكن من إقامة العدل والإنصاف. ومن ملك هواه فهو في حالتي الحب والكره سواء لأنه يعمل بضميره. وأما من استرسل في هواه وهو مسلط على الرعية ومقدراتهم وبلادهم فلن يكون عمله إلا استعبادهم وتسخيرهم لأهوائه الخاصة ومصالحة. أما ثروات المجتمع فلن تكون حينئذ إلا عرضة للابتزاز ولإشباع الغرائز والنوازع البهيمية. فتجنباً لأن يكون الموظف الإداري كذلك أبانها الإمام وأوضحها لعامله على مصر[4].

ومن واجبات الموظف الإداري إلى مواصفاته والشروط الواجب توفرها فيه عند تعيينه. فإدارة الدولة الإسلامية تتطلب رجالاً لهم مواصفات حددها الإمام عند توليه الخلافة بقوله:

"... لا ينبغي إن يكون الوالي على الخروج والدماء والمظالم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته[5] ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف[6] للدول[7]

---

1 يطامن: يخفض

2 الطماح: النشوز

3 الغرب: الحدة: وفاء رجع

4 راجع عبد المحسن فضل الله، نظرية الحكم والإدارة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢١.

5 شهوته الشديدة وحرصه المفرط

6 الظالم

7 المال

فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع[1] ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة...... "[2].

إن هذا التحديد الموضوعي لصفات الموظف الإداري التي يقرها الإسلام هو ما حدا بالإمام عند توليه الخلافة إلى الاستغناء عن خدمات بعض موظفي الدولة الإسلامية. أقدم على ذلك حرصاً منه على تطبيق الشريعة الإسلامية وإن كانت ستعصف بكرسي الخلافة من تحته بالرغم من نصح الناصحين بإبقائهم في مراكزهم الإدارية خوفاً من مشاغبتهم.

وفي الميدان الاقتصادي للإمام أفكار إدارية مبنية على فهمه للدين الإسلامي. لذلك فقد عمد فور تسلمه الخلافة إلى وضع طريقة جديدة في توزيع المال مستمدة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، تقوم على أساس المساواة في العطاء بدلاً من سياسة التمييز. ومؤكداً أن التقوى والسابقية في الدين والبلاء في الجهاد والصحبة للرسول أمور ذاتية تقرب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وتثقل ميزانه يوم القيامة، ولكنها لا تمنح لأصحابها أحقية لزيادة ثرواتهم ولا تمنح ومميزات دنيوية. ومن هنا فإنهم متساوون في حقوقهم المالية. ويقول الإمام في ذلك:

"ألا وأيما من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله.....

---

1 الحدود التي حددها الله تعالى

2 د. صبحي الصالح، نهج البلاغة، مرجع سابق، ص ١٣١.

وأيما رجل استجاب لله ورسوله فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار"[1].

إن السياسة المالية عند علي تقوم على أساس حق المواطنة الإسلامية لكل فرد في الدولة دون سبب آخر. لذلك فإن الإدارة المالية عند علي جسدت أبرز المفاهيم الخيرة في جميع الدساتير والنظريات الحديثة ولا عجب في ذلك فهي أولاً وأخيراً مفاهيم إسلامية سامية.

ولقد تخطت مفاهيم الإدارة عند علي إلى تنظيم المجتمع بأسره بذلك خطته الإصلاحية الشاملة. ومن خلال اهتمامه بشؤون الفرد المسلم وطموحاته وضع ركائز إدارية لتنظيم علاقاته مع نفسه ومع الآخرين في شتى الميادين الحياتية. لذلك فقد بدأ الإمام بالاستعانة بطاقم إداري كفوء من الولاة والموظفين لإدارة الدولة الإسلامية، يعد أفراده نموذجاً مثالياً في مستواهم الفكري والروحي أمثال عبد الله بن عباس ومحمد ابن أبي بكر وعثمان بن حنيف وسهل بن حنيف ومالك الأشتر وغيرهم، أما العمال فمنهم يزيد بن قيس الأرجي، محمد بن سليم، قدامه بن عجلان، عدي بن الحارث، حسان بن عبد الله البكري وسعيد بن مسعود الثقفي[2].

---

1 الإمام محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٦٩.

2 محمد رضا، الإمام علي بن أبي طالب، بيروت، ١٩٧٦، ص ١٣٣.

وبالرغم من أن هؤلاء الولاة والعمال يعدون نماذج خيرة من الرجال بما تميزوا به من صفاء روحي ومهارات إدارية عالية، إلا أن الإمام حرص دائماً أن يزودهم بخطط مفصلة عن مناهجه الإدارية في الحكم لكي يهتدوا بها في حياتهم العملية.

كما إن الإمام داوم على توجيههم ونصحهم في حالة التقصير إن وجدت عند أحدهم. وبالإضافة إلى النصح لهم عمد إلى إشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والاحترام وحثهم على تجاوز كل مظهر من مظاهر التكبر والاستعلاء التي قد يغري بها المنصب. مذكراً إياهم بأن الناس سواسية في الحقوق العامة، فلا يجب على الوالي أن يرضخ لتأثير قوى النفوذ الاجتماعي في تطبيق العدالة الاجتماعية على القوى الضعيفة الأخرى كالفقراء والعمال والمزارعين. فنراه يقول لأحد ولاته:

"فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغير من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم"[1].

هذه صورة من الصور العديدة التي يوجهها الإمام علي إلى ولاته وعماله على البلدان للعمل بها والالتزام بما فيها من نهج إداري إسلامي قويم. وبالإضافة إلى الرسائل الإدارية التي كان يوجهها إلى موظفيه الإداريين الكبار كان يطبق مبدأ الرقابة الإدارية عليهم. فكان يحرص

---

1 د. صبحي الصالح، نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٨٠، من عهده إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، ص ٣٨٣.

على الاطلاع على أساليبهم القيادية التي هم يشغلونها. لذلك فإنه استعان بجهاز من الرقباء والعيون لكي يتأكد من مدى تطبيقهم لمناهجه الاجتماعي الشامل وتنفيذهم لسياسته الإصلاحية، فإذا رأى من احدهم خطأ أو تقصيراً، بادره الإمام بالنصح إلى تقويم سلوكياته السلبية من خلال تلك الوسائل الإدارية. أما إذا لم يتعظ فيقوم بتهديده أو بعزله إذا استدعى الأمر.

وهذا ما حدث بالفعل مع احد ولاته عثمان بن حنيف رضي اللّه عنه حينما ولاه على البصرة ودعاه بعض شخصياتها إلى مأدبة، فأرسل إليه الإمام قائلاً:

"أما بعد يابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه..."[1].

هكذا كانت الرقابة الإدارية عند علي وهي رقابة لم يقصد بها الكشف عن عيوب الآخرين والتشهير بأخطائهم بل كانت رقابة إدارية واعية يقصد بها حفظ الحقوق العامة لجميع الطبقات الاجتماعية في دولته. ولم يكن يستثني من هذه الرقابة الإدارية والياً مقرباً إليه من بني هاشم "بل كانوا يحاسبون على ما في أيديهم أعسر حساب، وكانوا

---

1 صبحي الصالح، نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٨٠، ص ٤١٦.

يستطاب لك : يطلب لك طيبها   الألوان: أصناف الطعام   قضم: أكل بطرف أسنانه

الجفان: جمع جفنة وهي القصعة   العائل: المحتاج   المجفو: المطرود

لتضييقه عليهم في المراقبة يتركون ولايتهم ويستقيلون منها، كما فعل ابن عباس حين هجر البصرة إلى مكة"[1].

أما جهاز الحكم الإداري عند علي بن أبي طالب فهو يتكون من ثلاث هيئات تكمل كل منها الأخرى: الهيئة التنفيذية والهيئة التشريعية والهيئة القضائية. ووضع مواصفات كل هيئة من هذه الهيئات بشكل تفصيلي ودقيق[2].

ولقد انطلق الإمام في ذلك من خلال حاجات الأفراد الاجتماعية من تشابك مصالحها وحقوقها المدنية والقانونية. ومن أهم تلك الحاجات الاجتماعية الحاجة إلى قيادة إدارية واعية، ولذلك فقد أشار الإمام إلى هذه الحاجة بقوله:

"وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر...... ويبلغ فيه الجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به ويستراح من فاجر"[3].

إذن على القيادة الإدارية أياً كان مسماها – رئيس، أمير، والي – أن تعمل على صيانة الأمن الداخلي وتنظيم الحياة الاجتماعية. كما إن لها دوراً عسكرياً في تجهيز الجيوش وحماية الدولة ومواطنيها وترتيب أوضاعها الداخلية أيضاً.

---

1 عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٦٩.

2 عبد علي آل سيف، المجتمع وجهاز الحكم في الإسلام، دار التربية، بغداد، ١٩٦٩، ص ٥٣.

3 ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٦٣، ج١، ص ٨٣.

ويحـدد الإمـام شـروط القائـد الإداري بـشرطين رئيـسيين همـا القـوة والعلم، ومهما وضعنا ـ في الواقع ـ من شـروط أخـرى فإنهـا لـن تخـرج عـن هذين الشرطين. يقول الإمام:

"إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بكتاب اللّه"[1].

والقوة تشمل القوة الجسدية والفكرية من اطلاع واسع بـأمور الإدارة والحكم إلى الاستعداد التام بتخطيط العمل الإداري. أما العلـم بكتـاب اللّه فهو المعرفة الكاملة بالدستور الإسلامي للدولة من تشريعات وقوانين سماويـة تكفـل القيـام بمهامـه كـرئيس للدولـة بعـدل وإنـصاف. ويحـدد الإمام كما أشرنا سابقاً أوصاف القائد وشروط ترشيحه وكيفيتها[2].

أمـا الهيئـة التـشريعية عنـد علـي فيراهـا القـرآن الكـريم (الدسـتور) باعتباره واحداً من مهماتها. أما أعمالها غير الدستورية فتتمثل في تفسير المـواد القانونيـة وتـشريع لـوائح قانونيـة لمـا يجـد في مجـالات التـشريع غـير المشرع لها.

وللهيئة التشريعية أن تقـوم باسـتعراض مـا تـشابه مـن مـصادر وتحديـد المبادئ الأساسية للدستور الإسلامي.

ولكـن مـا هـو الدسـتور الإسـلامي. هـو كتـاب يحتـوي علـى المبـادئ والمفاهيم الدنيوية والدينية للفرد ضمن موطن محدد أو غير محـدد. وهـذا يجده الإمام في القرآن الكريم والسنة النبوية: حينما حدده بقوله:

---

1 ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩٦٣، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٤.

2 عبد علي آل سيف، المجتمع و جهاز الحكم، مرجع سابق، ١٩٦٩، ص٦٠.

"حتى أكمل له ولكم ـ فيما أنزل من كتابه ـ دينه الذي رضيه لنفسه وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره"[1].

و الكتاب هو الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما يتناوله المسلمون اليوم بدون زيادة أو نقصان وهو ما عجز فصحاء قريش والعرب من الآتيان بآية واحدة من آياته الكريمة. وهو موسوعة تضم أصول العقيدة وأصول التشريع الإسلامي. يقول الإمام:

"جعله الله رياً لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء"[2].

أما المشرع فهو الله سبحانه وتعالى. يقول الإمام:

"الحمد لله الذي شرع الإسلام نهل شرائعه"[3].

وأخيرا الهيئة القضائية وقد أشار إليها الإمام علي باعتبارها ضرورة اجتماعية لأن الخلق مجبول على المخاصمة والنزاع مع غيره بفعل حب ذاته وحبه للتملك لجميع الأشياء من حوله. وتستند الهيئة القضائية في أحكامها إلى الدستور الإسلامي ـ القرآن الكريم والسنة النبوية ـ في فض النزاعات والمشاجرات بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد. والقاضي يجب أن يكون ملماً بجميع الأحكام الشرعية. كما أن القاضي لابد أن يكون طاهر المولد قوي الإيمان بالله سبحانه وتعالى معروفاً بالزهد

---

1 ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٦٣، ج١، ص ١٤٨.

2 ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٦٣، ج٢، ص ٢٠٣.

3 نفس المصدر، ج١، ص٢٠٢.

والتقوى والصلاح مستنبطاً الأحكام من كتاب الله والسنة لا من أحكام وضعية ليست لها صلة بمصادر التشريع. يقول الإمام:

"ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقصاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد"[1].

1 ابن أبي الحديد، شرح النهج، مرجع سابق، ج١، ص٥٠.

الباب الثاني

نصوص مختارة

قبل النصوص

وحتى تتضح مفاهيم الإدارة السياسية عند الإمام علي، قمنا باختيار طائفة من أهم النصوص ـ خطب، كتب ـ ذات الدلالات التنظيمية التي قالها أو أرسلها الإمام للعمال والولاة في الدولة الإسلامية.

ولقد اعتمدت في إيراد هذه النصوص بالدرجة الأولى على (شرح نهج البلاغة) للشيخ محمد عبده لما له من شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي اليوم. وبالإضافة إلى شرح الشيخ محمد عبده رجعنا (لشرح نهج البلاغة) للدكتور صبحي الصالح. وكلاهما أخذا من شرح ابن أبي الحديد ذلك السفر الخالد والعمل الجليل الذي حوى شتى فروع المعرفة من الأدب والحكمة إلى الفقه والتوحيد.

وبالرغم من رجوعنا إلى هذين الشرحين بالإضافة إلى شرح ابن أبي الحديد في مواضع كثيرة، إلا أنني لا أدعي أنني قمت بتحقيق النهج لا كله ولا بعضه. فهذا عمل لا يتم إلا بعد الرجوع للعديد من المخطوطات والمصنفات القديمة والحديثة للنهج ومقابلة بعضها ببعض ضبطاً للنص وتصحيحاً للأخطاء الدقيقة في الأصل، ومن ثم اختيار الأصوب والأدق بعد الرجوع إلى مفاهيم اللغة العربية. وتتويجاً لعملية التحقيق تضاف إلى تلك النصوص الحواشي والشروح.

أما عملية الاختيار والمقارنة والتدقيق، المثبتة في هذا الكتاب فلم تكن في غاية السهولة والبساطة أيضاً.

فالاختيار من الكل يتطلب قراءة الكل أولاً ومن ثم نختار من خطب الإمام ووسائله ذات الدلالات الإدارية. وللتأكد من الشروح نعود إلى

الدكتور صبحي الصالح كلمة كلمة ونقارنها بشرح الشيخ محمد عبده وابن أبي الحديد حتى تتطابق المعاني وتتفق. وكل اتفاق بين الشيخ محمد عبده والدكتور الصالح يعود إلى أخذهما من مصدر واحد وهو ابن أبي الحديد ، وكل اختلاف بينهما يعود إلى اجتهاد منهما. ونحن لا نأخذ إلا ما اتفقا عليه.

ومع تلك المقارنة الدقيقة وجدت أن أغلب الشروح متطابقة ولا توجد إلا اختلافات بسيطة هنا وهناك. ويؤكد هذا قول الدكتور صبحي الصالح في مقدمة شرحه: " ومن يقارن بين شرحنا لمعاني الألفاظ الغريبة وشرح الشيخ محمد عبده يخيل إليه أن قدراً كبيراً منها متماثل أو متشابه إلى حد بعيد. والسر في هذا أن كلاً منا عول على شرح أبن أبي الحديد في مواضع كثيرة"[1] . ويمكن أن نضيف أن التشابه يتعدى الألفاظ الغريبة إلى الشائعة أيضاً.

و يذكر د. صبحي الصالح أن الناشر اللبناني محيي الدين الخياط قد لاحظ أن بعض تفسير الشيخ محمد عبده "يكاد يكون منقولا بحرفيته عن شرح ابن أبي الحديد"[2]

كما أن الطبعات الأخرى لشرح النهج مثل طبعة عبد العزيز سيد الأهل وطبعات الشيخ محيي الدين عبد الحميد وغيرهما من الطبعات أخذت من الشيخ محمد عبده دون زيادة أو نقص في الشروح. وأمام هذه الحقائق نقول إننا جميعاً أخذنا من أبن أبي الحديد.

---

1 د. صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، مرجع سابق، ١٩٨٠، ص ٢١.

2 المرجع السابق، ص ٢١.

ومنا للدكتور المرحوم صبحي الصالح نظرة إعجاب وإكبار على ما قام به من جهد متميز ومتفرد في ضبط نصوص نهج البلاغة وابتكار فهارسها العلمية والعملية.

(من عهد له عليه السلام)

كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب محمد ابن أبي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصره وإعزاز من أعزه.

وأمره إن يكسر نفسه من الشهوات، ويزرعها عند الجمحات[1]. فإن النفس إمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور. وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب

1 ويزرعها: أي يكفها عن مطامعها.

الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك[1]. فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت. وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل[2] وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ[3] فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفاك أمرهم[4] وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله[5] فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك من عفوه ورحمته. ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة[6]، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤتمر آمر فأطاع[7] فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغِيَر. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من

---

1 شح: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحق، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص عليها أن تحمل إلى ما تكره إن كان ذلك في الحق.

2 يفرط: يسبق

3 يؤتى مبني للمجهول نائب فاعله على أيديهم. وأصله تأتي السيئات على أيديهم.

4 استكفاك: طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم.

5 أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور، ولا يد لك بنقمته أي ليس لك يد أن تدفع نقمته، أي لا طاقة لك بها.

6 بجح به: كفر لفظاً ومعنى. والبادرة: ما يبدو من الحدة عند الغضب في قول أو فعل. والمندوحة: المتسع أي المخلص.

7 مؤتمر: كمعظم أي مسلط. والإدغال: إدخال الفساد. ومنهكة: مضعفة، نهكه: أضعفه. والغير "بكسر ففتح": حادثات الدهر بتبدل الدول.

سلطانك أبهة أو مخيلة[1] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك[2]، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إياك ومساماة الله في عظمته[3] والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته[4] وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة[5]، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف[6] شكراً عند الإعطاء. وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف

---

1 الأبهة ـ بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة ـ : العظمة والكبرياء. والمخيلة ـ بفتح فكسر: الخيلاء والعجب.

2 الطماح ـ ككتاب ـ : النشوز والجماح. ويطامن أي يخفض منه، والغرب – بفتح فسكون– الحدة.

3 المساماة: المباراة في السمو أي العلو.

4 أدحض: أبطل. وحرباً أي محارباً. وينزع – كيضرب – أي يقلع عن ظلمه.

5 يجحف أي يذهب برضا الخاصة فلا ينفع الثاني معه.

6 الإلحاف: الإلحاح والشدة في السؤال.

صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة[1] وإنما عماد الدين وجماع المسلمين[2] والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعاتب الناس[3] فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فأنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك.

فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك. أطلق عن الناس عقدة كل حقد[4]. واقطع عنك سبب كل وتر. وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل[5] ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى[6] يجمعها سوء الظن بالله. إن شر وزراتك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام، فلا

---

1 من أهل الخاصة متعلق بأثقل وما بعده من أفعال التفصيل.

2 جماع الشيء "بالكسر": جمعه أي جماعة الإسلام.

3 أشنؤهم: أبغضهم. والأطلب للمعاتب: الأشد طلباً لها.

4 أي احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم. واقطع عنك أسباب الأوتار أي العداوات بترك الإساءة إلى الرعية. والوتر "بالكسر" العداوة، وتغاب أي تغافل.

5 الفضل هنا الإحسان بالبذل. ويعدك: يخوفك من الفقر لو بذلت. والشره "بالتحريك": أشد الحرص.

6 غرائز: طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله.

يكونن لك بطانة[1] فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف[2] ممن له مثل آرائهم ونفاذهم. وليس عليه مثل آثارهم وأوزارهم[3] ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه. ولا آثماً على إثمه. أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً[4] فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[5]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع[6]، والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك[7] ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة. وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه[8] واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن راع

---

1 بطانة الرجل "بالكسر": خاصته.

2 منهم متعلق بالخلف أو متعلق بواجد، ومن مستعملة في المعنى الأسمى بمعنى بدل.

3 الاصار: جمع أصر بالكسر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار.

4 الإلف "بالكسر": الإلفة والمحبة.

5 ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المر.

6 واقعاً حال مما كره الله، أي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك إليه أي منزلة.

7 رضهم، أي عودهم على أن لا يطروك أي يزيدوا في مدحك، ولا يبجحوك أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته. والزهو "بالفتح": العجب وتدني أي تقرب من العزة أي الكبر.

8 فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة.

برعيته من إحسانه إليهم[1] ، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[2] فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً[3] ، وإن أحق من حسن ظنه به لمن حسن بلاؤك عنده. وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[4] .

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الإلفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها. والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر ممارسة العلماء، ومناقشة الحكماء[5] في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله. ومنها كتاب العامة والخاصة[6] . ومنها قضاة العدل. ومنها عمال الإنصاف والرفق.

ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس. ومنها التجار وأهل الصناعات. ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة

---

1 إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له، فإن الإحسان قيادة الإنسان فيحسن ظنه بهم.

2 قبلهم "بكسر ففتح" أي عندهم.

3 النصب "بالتحريك": التعب.

4 البلاء هنا: الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً.

5 المناقشة: المحادثة.

6 كتاب "كرمان" جمع كاتب. والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة، كالخراج والمظالم.

والمسكنة، وكلاً قد سمى الله سهمه[1]. ووضع على حدة فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله، عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليهم فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم[2]. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد[3]، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[4]، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق[5] بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم[6]. وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل. فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله

---

1 سهمه: نصيبه من الحق.

2 أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

3 هو وما بعده نشر على ترتيب اللف. والمعاقد: العقود في البيع والشراء وما شابهها مما هو من شأن القضاة.

4 الضمير للتجار وذوي الصناعات.

5 الترفق: أي الكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سار الطبقات.

6 رفدهم: مساعدتهم و صلتهم.

ولإمامك، وأنقاهم جيباً[1] ، وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء[2] . وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الأحساب[3] وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة. ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف. ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[4] . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به[5] ، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به. وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

و ليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو. فإن عطفك عليهم[6] بعطف قلوبهم عليك، وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية. وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم

---

1 جيب القميص: طوقه، و يقال نقي الجيب أي طاهر الصدر و القلب. و الحلم: العقل.

2 ينبو: يشتد و يعلو.

3 ثم الصق الخ تبيين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند و يكون منه رؤساؤه و شرح لأوصافهم، و جماع من الكرم: مجموع منه. و شعب "بضم ففتح": جمع شعبة.

4 تفاقم الأمر: عظم أي لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون، فكل شيء قويتهم به واجب عليك إتيانه وهم مستحقون لنيله.

5 أي لا تعد شيئاً من تلطفك معه حقيراً فتتركه لحقارته.

6 عليهم أي على الرؤساء.

إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم[1]. وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم. فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم[2]. فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع ويحرض الناكل إن شاء الله. ثم اعرف لكل امريء منهم ما أبلى، ولا تنسبن بلاء امرئ إلى غيره[3]، ولا تقصرن به دون غاية بلاه، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب[4] ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم "يأيها، الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" فالرد إلى الله بمحكم كتابه[5] والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[6].

---

1 حيطة "بكسر الحاء": من مصادر حاطه بمعنى حفظه و صانه.

2 ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم، فتعديد ذلك يهز الشجاع أي يحركه للإقدام، و يحرض الناكل أي المتأخر القاعد.

3 لا تنسبن عمل امريء إلى غيره و لا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منه عمله الجميل.

4 ضلع فلاناً "كمنع": ضربه في ضلعه.

5 محكم الكتاب: نصه الصريح.

6 سنة الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء، فإذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبته إليه.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك[1] في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم[2]، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[3]، ولا تشرف نفسه على طمع[4]، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه[5]، وأوقفهم في الشبهات[6]، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، واصرمهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزدهيه إطراء[7] ولا يستميله إغراء، أولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه[8]، وأفسح له في البذل ما يزيل علته[9] وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[10] ليأمن بذلك اغتيال الرجال به عندك، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل

---

1 ثم اختر: الانتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة.

2 أمحكه جعله محكان أي عسر الخلق، أو أغضبه أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.

3 حصر "كفرح": ضاق صدره.

4 الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

5 لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقر به دون أن يأتي على أقصى الفهم بعد التأمل.

6 ها وما بعده اتباع لأفضل رعيتك. والشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص، فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح. وأصرمهم: أقطعهم.

7 لا يزدهيه: لا يستخفه زيادة الثناء عليه.

8 تعاهده: تتبعه بالاستكشاف والتعرف.

9 البذل: العطاء أي أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته.

10 إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن أجللته.

فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا. ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً[1]، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام[2] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً. ثم أسبغ عليهم الأرزاق[3] فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[4] ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم[5] فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[6] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في

---

1 ولهم الأعمال بالامتحان لا محاباة أي اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم.

2 توخ أي اطلب وتحر أهل التجربة. القدم "بالتحريك": واحدة الإقدام، أي الخطوة السابقة. وأهلها هم الأولون.

3 أسبغ عليه الرزق: أكمله وأوسع له فيه.

4 نقصوا في أدائها أو خانوا.

5 العيون: الرقباء.

6 حدوة أي سوق لهم وحث.

استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلا، فإن شكوا ثقلاً[1] أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم[2] معتمداً فضل قوتهم[3] بما ذخرت عندهم من إجماحك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به[4]، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعوازأهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع[5]، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر.

---

1 إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته، وانقطاع شرب بالكسر أي ماء في بلاد تسقى بالأنهار، أو انقطاع بالة أي ما يبل الأرض من ندى ومطر فيما يسقى بالمطر، أو إحالة أرض بكسر همزة إحالة أي تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها أي عمها من الغرق فصارت غمقة "كفرحة" أي غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذر فيها غمقا "ككتف" أي له رائحة خمة وفساد، ونقصت لذلك غلاتهم. أو أجحف العطش أي ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم تنبت.

2 التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

3 أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة.

4 طيبة "بكسر الطاء" مصدر طاب وهو علة لاحتملوه أي لطيب أنفسهم باحتماله. والإعواز الفقر والحاجة.

5 لتطلع أنفسهم إلى جمع المال وادخارا لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.

ثم انظر في حال كتابك[1] فول أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق[2]، ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء، ولا تقصر به الغفلة[3] عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطيك منك.

ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك[4]، ولا يجهل بلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثم لا يكن اختيارك إياه على فراستك واستنامتك[5]وحسن الظن منك، فالرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعه وحسن خدمتهم[6] ،وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم[7] لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت

---

1 ثم انظر : انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتاب جمع كاتب.

2 بأجمعهم متعلق بأخصص، أي ما يكون من رسائلك حاوياً لشيء من المكائد للأعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فأخصصه من فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة.

3 لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في إطلاعك على ما يرد من أعمالك، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب.

4 أي يكون خبيراً بطرق المعاملات.

5 الفراسة "بالكسر": قوة الظن وحسن النظر في الأمور. والاستنامة: السكون والثقة.

6 يتعرفون للفراسات أي يتوسلون إليها لتعرفهم.

7 أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها، لا يقهره عظيم تلك الأعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها.

عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته[1].

ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات[2] وأوص بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله[3]، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها[4]، ولا يجترئون عليها. فإنهم سلم لا تخاف بائقته[5]، وصلح لا تشي غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً[6]، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة. فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع[7]. فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[8] فنكل به، وعاقب في غير إسراف. ثم الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة

---

1 إذا تغابيت أي تغافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقاً بك.

2 ثم استوصِ، انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناع.

3 المتردد بأمواله بين البلدان. والمترفق: المتكسب.

4 أي ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

5 فإنهم: علة لاستوصِ وأوص. والبائقة: الداهية.

6 الضيق: عسر المعاملة. والشح: البخل. والاحتكار: حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.

7 المبتاع : المشتري.

8 قارف أي خالط. والحكرة "بالضم": الاحتكار، فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به، أي أوقع به النكال والعذاب عقوبة له لكن من غير إسراف في العقوبة ولا تجاوز عن حد العدل فيها.

لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمني[1] ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً[2] . واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد[3] ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر[4] ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه[5] لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم[6] ، ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون[7] وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك[8] من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه[9] ، فإن هؤلاء من الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم[10] وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة

---

1 البؤس "بضم أوله": شدة الفقر. والزمني "بفتح أوله": جمع زمن وهو المصاب بالزمانة بفتح الزاي أي العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

2 القانع: السائل من قنع كمنع أي سأل وضع وذل. والمعتر "بتشديد الراء": المعترض للعطاء بلا سؤال. واستحفظك: طلب منك حفظه.

3 صوافي الإسلام جمع صافية وهي أرض الغنيمة. وغلاتها: ثمراتها.

4 طغيان بالنعمة.

5 التافه: القليل لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت وأتقنت الكثير المهم.

6 لا تشخص أي لا تصرف همك أي اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم. وصعر خده: أماله إعجاباً وكبراً.

7 تقتحمه العين: تكره أن تنظر إليه احتقاراً.

8 فرغ أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم.

9 بالأعذار إلى الله أي بما يقدم لك عذرا عنده.

10 الأيتام. وذوو الرقة في السن: المتقدمون فيه.

ثقيل والحق كله ثقيل. وقد يخففه اللّه على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود اللّه لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً[١] تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه للّه الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك[٢] من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع[٣]، فإني سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله يقول في غير موطن[٤]: "لن تقدس أمة[٥] لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع". ثم احتمل الخرق منهم والعي[٦]، ونح عنك الضيق والأنف[٧] يبسط اللّه عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب له ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً[٨]، وامنع في إجمال وأعذار. ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك[٩] ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها

---

1 لذوي الحاجات أي المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

2 تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك إلخ. والأحراس: جمع حرس "بالتحريك" من يحرس الحاكم، وهم المعروفون الآن بالضابطة، واحد شرطة بضم فسكون.

3 التعتعة في الكلام: التردد فيه من عجز أوعى، والمراد غير خائف، تعبيراً باللازم.

4 أي في مواطن كثيرة.

5 التقديس: التطهير أي لا يطهر الله أمة إلخ.

6 الخرق "بالضم": العنف ضد الرفق. والعي "بالكسر": العجز عن النطق.

7 الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق. والأنف "حركة": الاستنكاف والاستكبار. وأكناف الرحمة: أطرافها.

8 سهلاً لا تشنه باستكثاره وأمن له، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

9 يعيا: يعجز.

عليك مما تخرج به صدور أعوانك[1]. وامض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام[2] وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك غير مثلوم ولا منقوص[3] بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً[4]، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال: "صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً".

و أما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبه من الضيق، وقلة علم بالأمور. والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات[5] تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد الرجلين: إما

---

1 حرج يحرج "من باب تعب": ضاق. والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهار للجبروت.

2 أجزلها: أعظمها.

3 غير مثلوم أي غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء.

4 التنفير بالتطويل، والتضييع بالنقص في الأركان، والمطلوب التوسط.

5 سمات: جمع سمة "بكسر ففتح" العلامة.

امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك[1] من واجب حتى تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك[2]، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة[3]، أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة. فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال[4] ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة[5]. ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شِرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك[6]، وعيبه عيك في الدنيا الآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد. وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع. وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة[7].

---

1 فلأي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم أو في عمل تمنحه إياهم.

2 البذل: العطاء.

3 شكاة "بالفتح": شكاية.

4 فاحسم أي اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة.

5 الإقطاع: المنحة من الأرض. والقطيعة الممنوح منها: والحامة "كالطامة": الخاصة والقرابة. والاعتقاد: الامتلاك والعقدة "بالضم" الضيعة. واعتقاد الضيعة: اقتناؤها. وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها أي يقرب منها من الناس في شرب بالكسر وهو النصيب في الماء.

6 مهنؤه: منفعته الهنيئة.

7 المغبة "كمحبة" العاقبة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحِر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونك بإصحارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك[١] ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك[٢] وراحة من همومك وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل[٣]، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة[٤] فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[٥] فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً، مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود[٦] وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين[٧] لما استَوْبَلوا من عواقب الغدر[٨]. فلا

---

1 وإن فعلت فعلا ظنت الرعية أن فيه حيفاً أي ظلما فأصحر أي ابرز لهم وبين عذرك فيه. وعدل عنه كذا: نحاه عنه. والإصحار: الظهور، من أصحر إذا برز في الصحراء، ورياضة: تعويداً لنفسك على العدل. والإعذار: تقديم العذر أو إبداؤه.

2 الدعة "محركة": الراحة.

3 قارب أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

4 أصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الإنسان ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه، ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها، ثم أطلقت على معنى العهد. وجعل العهد لباسا لمشابهته له في الوقاية من الضرر. وحاطه: حفظه.

5 الجنة "بالضم" الوقاية أي حافظ على أعطيت من العهد بروحك.

6 الناس مبتدأ وأشد خبر والجملة خبر ليس، يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم.

7 أي حال كونه دون المسلمين في الأخلاق والعقائد.

8 لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة.

تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك[1]، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أقضاه بين العباد برحمته[2] وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[3]. فلا إدغال ولا مدالسة[4] ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل[5]. ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة. ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[6] فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها. والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما

---

1 خاس بعهده: خان ونقضه. والختل: الخداع.

2 الأمن: الأمان. وأقضاه هنا بمعنى أفشاه.

3 يستفيضون أي يفزعون إليه بسرعة.

4 الإدغال: الإفساد. والمدالسة: الخيانة.

5 العلل: جمع علة وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته، ولحن القول ما يقبل التوجيه كالتورية والتعرض.

6 وأن تحيط: عطف على تبعة، أي وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته ويأخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه.

يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن[1] .

وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك[2] أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء[3] فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك[4] أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس[5] ، قال الله تعالى: "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

---

1 القود "بالتحريك": القصاص. وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

2 أفرط عليك: عجل بما لم تكن تريده. أردت تأديباً فأعقب قتلاً. وقوله فإن في الوكزة تعليل لأفرط. والوكزة "بفتح فسكون" الضربة بجمع الكف "بضم الجيم" أي قبضته وهي المعروفة باللكمة. وقوله فلا تطمحن أي لا يرتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ : جواب الشرط.

3 الإطراء: المبالغة في الثناء. والفرصة "بالضم": حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك.

4 التزيد "كالتقيد": إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

5 المقت: البغض والسخط.

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها[1]، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت[2] أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل عمل موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة[3] والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون. فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعما قليل تتكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم. املك حمية انفك[4]، وسورة حدك وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف المبادرة[5] وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله، أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها[6]، وتجتهد لنفسك في اتباع ما

---

1 التسقط: من قولهم تسقط في الخبر يتسقط إذا أخذه قليلاً قليلاً، يريد به هنا التهاون.

2 تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها. واللجاجة : الإصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه. والوهن : الضعف.

3 احذر أن تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو تجب فيه المساواة من الحقوق العامة. والتغابي: التغافل. وما يعنى به مبنى للمجهول أي يهتم به.

4 يقال فلان حمي الأنف إذا كان أبياً الضيم، أي املك نفسك عند الغضب. والسورة "بفتح السين وسكون الواو": الحدة والحد "بالفتح": البأس، والغرب "بفتح فسكون": الحدة، تشبيهاً له بحد السيف ونحوه.

5 البادرة. ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه.

6 ضمير فيها يعود إلى جميع ما تقدم.

عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة[1] أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه[2]، مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة[3] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وإنا إليه راغبون. والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً. والسلام.

(ومن وصية له عليه السلام)

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

وإنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها انه كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها.

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً[4] ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية

---

1 على متعلقة بقدرة.

2 يريد من العذر الواضح العدل، فإنه عذر لك عند من قضيت عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

3 أي زيادة الكرامة أضعافاً.

4 روعه ترويعاً خوفه. والاجتياز: المرور.

لهم[1] ، ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لا ، فلا تراجعه، وإن أنعم له منعم[2] فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترفه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة. فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بأذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها، ولا تسوعن صاحبها فيها، وأصدع المال صدعين[3] ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. ثم أصدع الباقي صدعين ثم خيره فلا تعرضن لما اختاره، فلا تزال كلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فاقبض حق الله منه. فإن استقالك فأقله[4] ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله. ولا تأخذن عوداً[5] ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار. ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين. حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً. غير معنف ولا مجحف[6] ، ولا ملغب ولا متعب، ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك[7] نصيره حيث أمر الله به، فإذا

---

1 أخدجت السحابة قل مطرها أي لا تبخل.

2 قال لك نعم، أو تعسفه تأخذه بشدة. وترهقه تكلفة ما يصعب عليه.

3 اقسمه قسمين.

4 أي فإن ظن في نفسه سوء الاختيار.

5 العود "بفتح فسكون": المسنة من الإبل. الهرمة أسن من العود. والمهلوسة: الضعيفة. هلسه المرض أضعفه. والعوار "بفتح العين، وتضم": العيب.

6 المجحف من يشتد في سوقها حتى تهزل. والملغب المعيي من التعب.

7 حدر يحدر كينصر ويضرب أسرع، والمراد سق إلينا سريعاً.

أخذها أمينك فأعوز إليه إلا يحول بين ناقة وبين فصيلها [1] ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بوليدها ، ولا يجهدنها ركوباً. وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها ، وليرفه على اللاغب [2]. وليستأن بالنقب والظالع. وليوردها ما تمر به من الغدر [3] ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطريق. وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف [4] والأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات [5] ، لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله. فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة

أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله، حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه، أمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر [6] ، ومن لم يختلف سره وعلا نيته وفعله ومقالته فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة.

وأمره إن لا يجبههم [7] ولا يعضَهَم، ولا يرغب عنهم تفلاً بالإمارة

---

1 فصيل الناقة: ولدها وهو رضيع، ومصر اللبن تمصيراً قُلله.

2 أي ليرح ما لغب أي أعياه التعب، وليستأن أي يرفق من الأناة بمعنى الرفق. والنقب "بفتح فكسر": ما نقب خفة كفرح، أي تخرق. ظلع البعير غمز في ميته.

3 جمع غدير ما غادره السيل من المياه.

4 النطاف "جمع نطفة": المياه القليلة، أي يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل.

5 البدن "بضمتين": جمع بادنة أي سمينة. والمنقيات اسم فاعل من أنقت الإبل إذا سمنت.

6 فيخالف هو مصب النهي.

7 جبهة "كمنعة" ضرب جبهته.

عليهم، فإنهم الإخوان في الدين والأعوان على استخراج الحقوق.

وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً، وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة، موفوك حقك فوفهم حقوقهم. وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء.

واعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك[1] وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه فان في الله خلفاً من غيره[2] وليس من الله خلف في غيره.

صل الصلاة لوقتها المؤقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ. ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال. واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

(ومنه) فإنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى، وولي النبي وعدو النبي. ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً. أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه[3]، ولكني أخاف عليكم كل منافق[4] الجنان عالم اللسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون.

(ومن عهد له عليه السلام)

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه

---

1 أي مطالب بحق بمخالفتك شهوة نفسك. والمنافحة: المدافعة.

2 إذا فقدت مخلوقاً ففي فضل الله عوض عنه، وليس في خلق الله عوض عن الله.

3 يقمعه: يقهره.

4 منافق الجنان: من أسر النفاق في قلبه. وعالم اللسان: من يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها فيقول حقاً يعرفه المؤمنون ويفعل منكراً ينكرونه.

دعي إلى وليمة قوم من اهلهتا فمضى إليها.

أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة[1] فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان[2] وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو[3]، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم[4]، فما اشتبه عليك علمه فالفظه[5]، وما أيقنت بطيب وجوهه[6] فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه[7]، ومن طُعمه بقرصيه.

ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد. وعفة وسداد[8]. فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنامها وفراً[9]، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً[10] بلى كانت في أيدينا فدك من

---

1 المأدبة "بفتح الدال وضمها": الطعام يصنع لدعوة أو عرس.

2 تستطاب يطلب لك طيبها. والألوان : أصناف الطعام والجفان "بكسر الجيم": جمع جفنه القصعة.

3 سائلهم: محتاجهم، مجفو أي مطرود من الجفاء.

4 قضم "كسمع" أكل بطرف أسنانه والمراد الأكل مطلقاً، والمقضم كمقعد المأكل.

5 اطرحه.

6 بطيب وجوهه بالحق في طرق كسبه.

7 الطمر "بالكسر": الثوب الخلق.

8 إن ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية.

9 التبر "بكسر فسكون": فتات الذهب والفضة قبل إن يصاغ. والوفر المال.

10 أي ما كان يهيئ لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والإزار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسو البدن لا بأحدهما.

كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين. ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث[١]. تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر[٢]، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى[٣] لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق[٤]. ولو شئت لاهتديت إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونساج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي[٥] إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة[٦] من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء إن تبيت ببطنةٍ[٧] وحولك أكباد تحن إلى القِدِّ

---

1 فدك "بالتحريك": قرية لرسول الله صلى عليه وسلم كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر. المظان: جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء.

2 أضغطها جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها.

3 أروضها: أذللها.

4 موضع ما تخشى الزلة وهو الصراط.

5 الجشع: شدة الحرص.

6 جملة ولعل الخ حالية عمل فيها تخير الأطعمة أي هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص أي الرغيف ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ولا يعرف الشبع.

7 البطنة "بكسر الباء" البطر والأشر والكظة. والقد "بالكسر": سير من جلد غير مدبوغ أي أنها تطلب أكله ولا تجده.

أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش[1]. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها[2] تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها، أو اترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة[3]. وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً[4]، والنباتات البدوية أقوى وقوداً[5]، وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد[6]. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها. وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس[7] حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد[8].

---

1 الجشوبة: الخشونة.

2 التقاطها للقمامة أي الكناسة وتكترش أي تملأ كرشها.

3 اعتسف: ركب الطريق على غير قصد. والمتاهة: موضع الحيرة.

4 الروائع الخضرة: الأشجار والأعشاب الغضة الناعمة.

5 الوقود: اشتعال النار.

6 الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد.

7 جهد "كمنع": جد والمركوس من الركس وهو رد الشيء مقلوبا وقلب آخره على أوله، والمراد مقلوب الفكر.

8 المدرة "بالتحريك": قطعة الطين اليابس. وحب الحصيد: حب النبات المحصود كالقمح ونحوه، أي حتى يطهر المؤمنين من المخالفين.

إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك[1]. قد انسللت من مخالبك، وأفلت من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحك. أين القرون الذين غررتهم بمداعبك[2] أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك. ها هم رهان القبور ومضامين اللحود. والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني وأمم ألقيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر[3]. هيهات من وطئ دحضك زلق[4]، ومن ركب لججك غرق، ومن ازور عن حبائلك وفق[5]، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه[6]. اعزبي عني[7]. فو الله لا أذل لك فتستذليني، ولا أسلس لك فتقوديني. وأيم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص[8] إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأودعن مقلتي كعين ماء نضب معينها[9] مستفرغة دموعها. اتمتلئ

---

1 إليك عني: اذهبي عني. والغارب: الكاهل وما بين السنام والعنق. والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت. وانسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها. والحبائل: جمع حبالة شبكة الصياد. وأفلت منها: خلص. والمداحض: المساقط.

2 والمداعب: جمع مدعبة "من الدعابة" وهي المزاح.

3 الورد "بكسر الواو": ورود الماء. والصدر "بالتحريك": الصدور عنه بعد الشرب.

4 مكان دحض "بفتح فسكون": أي زلق لا تثبت فيه الأرجل.

5 ازور أي مال وتنكب.

6 حان: حضر. انسلاخه: زواله.

7 عزب يعزب أي بعد. ولا أسلس لا انقاد.

8 تهش أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها، ومطعوماً حال من القرص كما إن مأدوماً حال من الملح أي مأدوماً به الطعام.

9 أي لأتركن مقلتي أي عيني وهي كعين ماء نضب أي غار معينها.

السائمة من رعيها فتبرك. وتشبع الربيضة من عشبها فتربض[1] ويأكل علي من زاده فيهجع[2]؟. قرت إذاً عينه[3] إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة[4] والسائمة المرعية.

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها[5]. وهجرت في الليل غمضها[6] حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم. وهمهمت بذكر ربهم شفاههم[7]، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم "أولئك حزب اللّه إلا إن حزب اللّه هم المفلحون".

فاتقِ اللّه يا ابن حنيف ولتكفك أقراصك ليكن من النار خلاصك.

(ومن وصية له عليه السلام)

وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو

فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف[8] أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم ردءاً ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم

---

1 الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها. والربوض للغنم كالبروك للإبل.

2 يهجع أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.

3 دعاء على نفسه برود العين أي جمودها من فقد الحياة.

4 الهاملة: المسترسلة. والهمل من الغنم: ترعى بلا راع.

5 البؤس: الضر. وعركه بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه.

6 والغمض "بالضم": النوم. والكرى "بالفتح": كذلك.

7 الهمهمة: الصوت يردد في الصدر. وتقشع الغمام: انجلى.

8 قدام الجبال. والأشراف جمع شرف "محركة" العلو والعالي وسفاح الجبال أسافلها. والأثناء: منعطفات الأنهار.

رقباء في صياصي الجبال[1] ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن. واعلموا إن مقدمة القوم عيونهم. وعيون المقدمة طلائعهم. وإياكم والتفرق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم فاجعلوا الرماح كفة[2]، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة.

(ومن وصية له عليه السلام)

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له:

اتق اللّه الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه، ولا تقاتلن إلا من قاتلك. وسر البردين[3]. وغور بالناس. ورفه بالسير. ولا تسر أول الليل[4] فإن اللّه جعله سكناً وقدره مقاماً لا ظعناً. فأرح فيه بدنك وروح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السحر[5] أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة اللّه. فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد إن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى

---

1 صياصي: أعالي. والمناكب: المرتفعات. والهضاب: جمع هضبة "بفتح فسكون" الجبل : لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه.

2 مثل كفة الميزان فانصبوا مستديرة حولكم محيطة بكم كأنها كفة الميزان. والغرار "بكسر الغين": النوم الخفيف. والمضمضة أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام تشبيهاً بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه.

3 الغداة والعشي.

4 وغور أي انزل بهم في الغائرة وهي القائلة، ونصف النهار أي وقت شدة الحر. ورفه أي هون ولا تتعب نفسك ولا دابتك. والظعن السفر.

5 ينبطح ينبسط مجاز عن استحكام الوقت بعد مضي مدة منه وبقاء مدة.

يأتيك أمري، ولا يحملنكم شنآنهم[1] على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أميرين من أمراء جيشه:

ولقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما[2] مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعاً ومجناً[3]، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل.

(ومن وصية له عليه السلام)

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معورا[4]، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن

---

1 الشنآن : البغضاء. والإعذار إليهم: تقديم ما يعذرون به في قتالهم.

2 الحيز ما يتحيز فيه الجسم أي يتمكن، والمراد منه مقر سلطتهما.

3 الدرع ما يلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب والطعن. والمجن الترس. والوهن: الضعف. والسقطة: الغلطة وأحزم أقرب للحزم. وأمثل أولى وأحسن.

4 المعور "كمجرم" الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها. وأصله أعور أبدى عورته. وأجهز على الجريح: تمم أسباب موته.

لمشركات. وإن الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة[1] فيعير بها وعقبه من بعده.

(وكان عليه السلام يقول)

إذا لقي العدو محارباً:

اللهم إليك أفضت القلوب[2] . ومدت الأعناق. وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وأنضيت الأبدان. اللهم قد صرح مكتوم الشنآن[3] . وحاشت مراجل الإضغان. اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا. وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا. (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين).

(ومن كتاب له عليه السلام)

(إلى عبد الله ابن عباس وهو عامله على البصرة):

اعلم أن البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم.

وقد بلغني تنمرك لبني تميم[4] وغلظتك عليهم، وإن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وإنهم لم يسبقوا برغم في جاهلية ولا إسلام[5] ،

---

1 الفهر بالكسر الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملأ الكف. والهراوة "بالكسر": العصا.

2 أفضت انتهت ووصلت. وأنضيت: أبليت بالهزال والضعف في طاعتك.

3 صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء. وجاشت: غلت. والمراجل: القدور. والأضغان: جمع ضغن وهو الحقد.

4 تنمرك أي تنكر أخلاقك.

5 غيبوبة النجم: كناية عن الضعف. وطلوعه كناية عن القوة والوغم "بالفتح فسكون": الحرب، والحقد.

وإن لهم بنا رحماً ماسة وقرابة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها، فأربع[1] أبا العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر فإنا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأيي فيك. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض عماله

أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلطة وقسوة[2]، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم[3] ولا إن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة[4] وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى زياد ابن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة.

وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان[5]:

---

1 أربع: أرفق وقف عند حد ما تعرف. وفال رأيه: ضعف.

2 الدهاقين: الأكابر.

3 لأن يقربوا فإنهم مشركون ولا لأن يبعدوا فإنهم معاهدون.

4 تشوبه: تخلطه.

5 كور: جمع كورة، وهي الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان، والأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس.

وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً[1] لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إليه أيضاً:

فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك[2] .

أترجو إن يعطيك الله اجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين. وتطمع – وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة – أن يوجب لك ثواب المتصدقين. وإنما المرء مجزى بما أسلف[3] ، وقادم على ما قدم. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض عماله:

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين[4] وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به لهاة الثغر المخوف[5] فاستعن بالله على ما أهمك، واخلط

---

1 فيئهم: مالهم من غنيمة أو خراج. والوفر المال. الضئيل: الضعيف النحيف.

2 ما يفضل من المال.

3 أسلف : قدم في سالف أيامه.

4 أستظهر: أستعين به. وأقمع أي أكسر. والنخوة "بالفتح": الكبر. والأثيم: فاعل الخطايا.

5 الثغر: مظنة طروق الأعداء في حدود الممالك. واللهاة: قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق، وقرنها بالثغر تشبيها له بفم الإنسان.

الشدة بضغث من اللين[١]. وأرفق ما كان الرفق أرفق. واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة. واخفض للرعية جناحك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة[٢]، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

أما بعد فإن عيني بالمغرب[٣] كتب إلي يعلمني أنه وجه على الموسم أناس من أهل الصم[٤] العمي القلوب، الصم الإسماع، الكمه الأبصار[٥]، الذين يلتمسون الحق بالباطل، ويطيعون المخلوق في معصية الخالق، ويحتلبون الدنيا درها بالدين[٦]، ويشترون عاجلها بآجل الأبرار والمتقين. ولن يفوز بالخير إلا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله. فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب[٧] والناصح اللبيب، والتابع لسلطانه المطيع لإمامه. وإياك وما يعتذر منه. ولا تكن عند النعماء بطراً[٨] ولا عند البأساء فشلاً. والسلام.

---

1 بضغث: بخلط، أي شيء من اللين تخلط به الشدة.

2 آس أي شارك وسو بينهم.

3 عيني أي رقيبي في البلاد الغربية.

4 وجه مبني للمجهول أي وجههم معاوية. والموسم: الحج.

5 الكمه: جمع أكمه وهو ولد أعمى.

6 يحتلبون الدنيا: يستخلصون خيرها. والدر "بالفتح": اللبن.

7 الصليب: الشديد.

8 البطر: شدة الفرح مع ثقة بدوام النعمة. والبأساء: الشدة.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله[1] بالأشتر عن مصر،

ثم توفي الأشتر عن مصر قبل وصوله إليها:

أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك[2] وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجد[3]. ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك. لوليتك ما هو أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية.

إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً[4]. فرحمة الله لقد استكمل أيامه ولاقى حمامه[5] ونحن راضون. أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له، فأصحر لعدوك، وامض على بصيرتك[6]، ومر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك ويعنك على ما نزل بك إن شاء الله.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد ابن أبي بكر:

---

1 توجده: تكدره.

2 موجدتك: أي غيظك. والتسريح: الإرسال. والعمل: الولاية.

3 أي ما رأيت منك تقصيراً فأردت أن أعاقبك بعزلك لتزداد جداً.

4 ناقماً أي كارهاً.

5 الحمام "بالكسر": الموت.

6 أصحر له أي أبرز له، من أصحر إذا برز للصحراء.

أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد. فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً[١] وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً. وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فو الله لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية، لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا ألتقي بهم أبداً.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر[٢] والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه[٣]. ولا منكر يتناهى عنه.

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع[٤]. أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحرث أخو مذحج[٥]، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق

---

1 احتسبه عند الله : سأل الأجر على الرزية فيه. والكادح المبالغ في سعيه.

2 السرداق طبضم السين": الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت، والغبار والدخان. والبر "بفتح الباء": التقي. والضاعن: المسافر.

3 يعمل به، واصله استراح إليه بمعنى سكن واطمأن. والسكون إلى المعروف يستلزم العمل به.

4 نكل عنه "كضرب ونصر وعلم": نكص وجبن. والروع: الخوف.

5 مذحج "كمجلس": قبيلة مالك، وأصله اسم أكمة ولد عندها أو القبيلتين طيء ومالك فسميت قبيلتاهما به.

فإنـه سـيف مـن سـيوف اللّه لا كليـل الظبـة[1] ولا نـابي الـضريبة[2] ، فـإن أمركم إن تنفروا فانفروا ، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم[3] .

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض عماله:

أمـا بعـد فقـد بلغـني عنـك أمـر إن كنـت فاعلـه فقـد أسـخطت ربـك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك[4] .

بلغني أنـك جـردت الأرض فأخـذت مـا تحـت قـدميك وأكلـت مـا تحـت يديك، فأرفع إلي حسابك، واعلم أن حساب اللّه أعظم من حساب الناس.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض عماله[5]:

أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكـن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواسـاتي ومـؤازرتي[6] ، وأداء

---

1 الظبة "بضم ففتح مخفف": حد السيف والسنان ونحوهما. والكليل: الذي لا يقطع.

2 الضريبة: المضروب بالسيف. ونبا عنها السيف : لم يؤثر فيها. وإنما دخلت التاء في ضريبة وهي بمعنى المفعول لذهابها مذهب الأسماء كالنطيحة والذبيحة.

3 خصصتكم به وأنا في حاجة إليه تقديماً لنفعكم على نفعي، والشكيمة في اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس، ويعبر بشدتها عن قوة النفس وشدة البأس.

4 ألصقت بأمانتك خزية "بالفتح" أي رؤية أفسدتها.

5 هو العامل السابق بعينه.

6 المواساة من آساه أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل أو مطلقاً. وقالوا ليست مصدراً

الأمانة إلي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت[1]، وهذه الأمة قد فنكت وشغرت[2] قلبت لابن عمك ظهر المجن[3] ففارقته مع المفارقين، وخلته مع الخالين، وخنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت[4]، ولا الأمانة أديت.

وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك. وكأنك لم تكن على بينة من ربك، وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم[5] وتنوي غرتهم عن فيئهم، فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة[6]، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه[7] كأنك – لا أبا لغيرك

لواساه فإنه غير فصبح وتقدم للإمام استعماله وهو حجة. والمؤازرة: المناصرة.

1 كلب "كفرح": اشتد وخشن، والكلبة "بالضم" الشدة والضيق. وحرب "كفرح": اشتد غضبه، وخزيت "كعريت": وقعت في بلية الفساد الفاضح.

2 من فنكت الجارية إذا صارت ماجنة. ومجون الأمة أخذها بغير الحزم في أمرها وكأنها هازلة: وشغرت لم يبق فيها من يحميها.

3 المجن الترس وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه.

4 ساعدت وشاركت في الملمات.

5 كاده عن الأمر خدعه حتى ناله من غيره، والغرة: الغفلة. والفيء : مال الغنيمة والخراج.

6 الأزل: السريع الجريء. والدامية: المجروحة. والكسيرة: المكسورة. والمعزى: أخت الضأن اسم جنس كالمعز والمعيز.

7 التأثم التحرز من الإثم بمعنى الذنب. ولا أبا لغيرك، تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء عليه. وحدرت: أسرعت إليهم بتراث أي ميراث، أو هو من حدره بمعنى حطه من أعلى لأسفل.

– حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك. فسبحان اللّه أما تؤمن بالمعاد أو ما تخاف نقاش الحساب[1]؟ أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم انك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟ وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذي أفاء اللّه عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد. فاتق اللّه واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني اللّه منك لأعذرن إلى اللّه فيك[2]، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار، وواللّه لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة[3] ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما. وأقسم باللّه رب العالمين ما يسرني إن ما آخذت من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي، فضحِّ رويداً فكأنك قد بلغت المدى[4] ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص[5].

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين

---

1 النقاش "بالكسر": المناقشة بمعنى الاستقصاء في الحساب.

2 لأعاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله في فعلتك هذه.

3 الهوادة "بالفتح": الصلح والاختصاص بالميل.

4 فضح من حيث الغنم إذا رعيتها في الضحى، أي فارع نفسك على مهل. المدى: بالفتح مفرد بمعنى الغاية. والثرى التراب.

5 ليس الوقت وقت فرار.

فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه:

أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك[1]، فلقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل غير ظنين[2] ولا ملوم ولا متهم ولا مأثوم. فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام[3] وأحببت أن تشهد معي، فأنك ممن أستظهر به على جهاد العدو[4] وإقامة عمود الدين إن شاء اللّٰه.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خُرّه[5]

بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك: انك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعراب قومك[6]. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن ذلك كان لك حقاً لتجدن لك علي هواناً، ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالاً.

---

1 التثريب: اللوم.

2 الظنين: المتهم.

3 الظلمة "بالتحريك": جمع ظالم.

4 أستظهر به: أستعين.

5 أردشير خره "بضم الخاء وتشديد الراء": بلدة من بلاد العجم.

6 اعتامك: اختارك، وأصله أخذ العيمة بالكسر وهي خيار المال.

ألا وإن حق من قبلك وقبلنا [1] من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى زياد ابن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزل لبك ويستفل غربك [2] ، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته [3] ويستلب غرته.

وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر فلتة من حديث النفس [4] ونزعة من نزعات الشيطان، لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث، والمتعلق بها الواغل المدفع، والنوط المذبذب.

(ومن كتاب له عليه السلام)

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه [5] :

والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق.

---

1 قبل "بكسر ففتح": ظرف بمعنى عند.

2 يستزل أي يطلب به الزلل وهو الخطأ. واللب: القلب. ويستفل بالفاء يثلم.

3 يدخل غفلته بغتة فيأخذ فيها. وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن أنواع التشبيه. والغرة "بالكسر": خلو العقل عن مضارب الحيل، والمراد منها العقل الساذج.

4 فلتة أبي سفيان قوله في شأن زياد إني أعلم من وضعه في رحم أمه يريد نفسه.

5 قطائع عثمان ما منحه للناس من الأراضي.

(ومن كتاب له عليه السلام)

لما بويع بالمدينة:

ذمتي بما أقول رهينة[1] ، وأنا به زعيم. إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات[2] حجزته التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وإن بلبلتكم قد عادت كهيأتها يوم بعث الله بنيكم صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ، ولتغربلن غربلة. ولتساطن سوط القدر[3] حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصروا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا. والله ما كتمت وشمة[4] ولا كذبت كذبة. ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وإن الخطايا خير شُمس حمل عليها أهلها ، وخلعت لجمها ، فتقحمت بهم في النار[5] . ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها ، وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة.

حق وباطل. ولكل أهل فلئن أمر الباطل لقديماً فعل. ولئن قيل الحق فلربما ولعل ، ولقلما أدبر شيء فأقبل.

ومن هذه الخطبة:

---

1 الذمة العهد والزعيم الكفيل. يريد انه ضامن لصدق ما يقول.

2 العبر بكسر ففتح جمع عبرة بمعنى الموعظة، والمثلات: العقوبات.

3 لتبلبلن أي لتخلطن. من نحو تبلبلت الألسن اختلطت، ولتساطن من السوط وهو إن تجعل شيئين في الإناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا. وقوله سوط القدر أي كما تختلط الأبزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، وكل لك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف وتقطع الأرحام وفساد النظام.

4 الوشمة: الكلمة.

5 الشمس بضمتين وضم فسكون جمع شموس وهي شمس كنصر أي منع ظهره أن يركب.

شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا، ومقصر في النار هوى. اليمين والشمال مضلة. والطريق الوسطى هي الجادة. عليها باقي الكتاب وآثار النبوة. ومنها منفذ السنة، وإليها مصير العاقبة. هلك من ادعى، وخاب من افترى. من أبدى صفحته للحق هلك وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره. لا يهلك على التقوى سنخ أصل[1]، ولا يظمأ عليها زرع قوم. فاستتروا ببيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد إلا ربه، ولا يلم لائم إلا نفسه.

(ومن كلام له عليه السلام)

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل:

إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه[2]، فهو جار عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة[3]، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به. ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته. حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته[4].

---

1 السنخ المنبت يقال ثبتت السن في سنخها أي منبتها والكرى هو النوم، والسنخ هو الأصل، والأليق بكلام الإمام ما قدمناه.

2 وكله الله إلى نفسه: تركه ونفسه.

3 المشغوف بشيء: المولع به.

4. رهن بخطيئته: لا مخرج له منها.

ورجل قمش جهلاً[1]. موضِع في جهال الأمة[2]، عاد في أغباش الفتنة. عمٍ بما في عقد الهدنة[3]، قد سماه أشباه الناس عالماً وليس به. بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من ماء أجن، واكتنز من غير طائل[4]، جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره[5]. فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به[6]، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت. لا يدري أصاب أم اخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خباط جهالات. عاشٍ ركاب عشوات[7] لم يع على العلم بضرس قاطع، يذري الروايات إذراء الريح الهشيم[8]. لا مليٌّ – والله – بإصدار ما ورد عليه. ولا هو أهل لما فوضى إليه[9]. لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره.

---

1 قمش جهلا: جمعه.

2 موضع في جهال الأمة مسرع فيهم بالغش والتعزيز وضع البعير أسرع وأوضعه راكبة فهو موضع به أي مسرع به، وقوله عاد في أغباش الفتنة الأغباش الظلمات واحدها غبش بالتحريك وأغباش الليل بقايا ظلمته. وعاد بمعنى مسرع في مشيته.

3 عمٍ وصف من العمى أي جاهل.

4 الماء الآجن الفاسد المتغير الطعم واللون. واكتنز أي استكثر.

5 التخليص التبيين، والتبس على غيره اشتبه عليه.

6 المبهمات: المشكلات.

7 خباط: صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى. والعاشي: الأعمى أو ضعيف البصر والعشوات: جمع عشوة مثلثة الأول وهو ركوب الأمر على غير هدى.

8 الهشيم ما يبس من النبت وتفتت.

9 المليء بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه (ولا أهل لما قرظ به): أي مدح به بدل ولا هو أهل لما قو إليه.

وإنْ أظلم عليه أمر اكتتم به[1] لما يعلم من جهل نفسه. تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث[2]. إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوة[3]، ولا سلعة انفق بيعا ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حرف عن مواضعه ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر.

(ومن خطبة له عليه السلام)

الحث على التآلف:

ليتأس صغيركم بكبيركم[4]، وليرأف كبيركم بصغيركم. ولا تكونوا كجفاء الجاهلية لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون. كقيض بيض في أداح[5] يكون كسرها وزراً، ويخرج حضانها شراً.

(ومنها): افترقوا بعده إلفتهم ، وتشتتوا عن أصلهم. فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه. على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم لبني أمية كما تجتمع قزع الخريف[6] يؤلف الله بينهم، ثم يجعلهم ركاماً كركام

---

1 اكتتم به أي كتمه وستره.

2 العج رفع الصوت وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور

3 تلى حق تلاوته اخذ على وجهه وما يدل عليه جملته وفهم كما كان النبي وأصحابه (ص) يفهمونه، وأبور من بارت السلعة كسدت، وانفق من النفاق بالفتح وهو الرواج.

4 ليتأس: أي ليقتد.

5 القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة. والأداحي "جمع أدحى" كألجى وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه فإذا مر مار بالأداحي فرأى فيها بيضاً أرقط ظن أنه بيض القطا لكثرته.

6 القزع "محركا": القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك. والركام: السحاب المتراكم. والمستثار: موضع انبعاثهم ثائرين. وسيل الجنتين هو الذي عاقب

السحاب. ثم يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تثبت عليه أكمة، ولم يرد سننه رص طود، ولا حداب ارض. يزعزعهم الله في بطون أوديته[1]، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكن لقوم في ديار قوم وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو والتمكين[2] كما تذوب الإلية على النار.

أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل. لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم. لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافاً[3] بما خلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد، واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونة الاعتساف، ونبذتم الإثم الفادح عن الأعناق[4].

الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمر جناتهم وحول نعيمهم شقاء. والقارة "كالقرارة" وما اطمأن من الأرض. والأكمة "محركة" غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه. والسنن يريد به الجري. والطود : الجبل العظيم والمقصود الجمع. والرص يراد به الارتصاص أي الانضمام والتلاصق، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال. والحداب "جمع حدب بالتحريك" ما غلظ من الأرض في ارتفاع.

1 يزعزعهم: يفرقهم. وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء، ثم يسلكهم ينابيع في الأرض أي أنهم يسرون دعوتهم وينفثونها في الصدور حتى تثور ثائرتها في القلوب كما تفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك في قيام الهاشميين على الأمويين في زمن مروان الحمار.

2 الضمير في أيديهم لبني أمية. والإلية الشحمة.

3 ليضعفن لكم التيه: لتزدان لكم الحياة أضعاف ما هي لكم الآن.

4 الفادح : من فدحه الدين إذا أثقله.

(ومن كلام له عليه السلام)

في أول خلافته

إن اللّه تعالى انزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر. فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا[1] الفرائض، أدوها إلى اللّه تؤدكم إلى الجنة. إن اللّه حرم حراماً غير مجهول، وأحل حلالاً غير مدخول[2]، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها[3]، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب. بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت[4] فإن الناس أمامكم، وإن الساعة تحدوكم من خلفكم. تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم. اتقوا اللّه في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاء والبهائم، أطيعوا اللّه ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه.

(ومن كلام له عليه السلام)

بعدما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام:

---

1 صدف: أعرض. والسمت: الجهة. وتقصدوا: تستقيموا.

2 معيب.

3 أي جعل الحقوق مرتبطة بالإخلاص والتوحيد لا تنفك عنه. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم.

4 بادره: عاجله، أي عاجلوا أمر العامة بالإصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فإذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة. وفي تقديم الإمام أمر العامة على أمر الخاصة دليل على أن الأول أهم ولا يتم الثاني إلا به.

يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم، يملكوننا ولا نملكهم. وها هم قد ثارت معهم عبدانكم، والتفت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم[١] يسومونكم ما شاءوا، وهل ترون موضعاً لقدرة على شيء تريدونه. إن هذا الأمر أمر جاهلية. وإن لهؤلاء القوم مادة[٢]. وإن الناس من هذا الأمر – إذا حرك – على أمور: فرقة ترى ما ترون. وفرقة ترى مالا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا ذلك، اصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق مسمحة[٣] فاهدؤوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم به أمري. ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتسقط منة، وتورث وهناً وذلة[٤]، وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي[٥].

(ومن خطبة له عليه السلام)

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إن اللّه بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قام، لا يهلك عنه إلا هالك[٦]. وإن المبتدعات المشبهات من المهلكات[٧] إلا ما حفظ اللّه منها، وإن في سلطان اللّه عصمة لأمركم. فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا

---

1 خلالكم: فيما بينكم.

2 مادة أي عوناً ومدداً.

3 مسمحة: اسم فاعل، من أسمح إذا جاد وكرم، كأنها لتيسرها عند القدرة تجود عليه بنفسها فيأخذها.

4 ضعضعة: هدمة حتى الأرض. والمنة "بالضم" القدرة. والوهن: الضعف

5 الكي كناية عن القتل.

6 إلا من كان في طبعه عوج جبلي فحتم عليه الشقاء الأبدي.

7 البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به هي المهلكة إلا أن يحفظ الله منها بالتوبة.

مستكره بها[1] ، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأزر الأمر إلى غيركم[2] .

إن هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة إمارتي[3] ، سأصبر مالم أخف على جماعتكم. فإنهم إن تمموا فيالة هذا الرأي[4] انقطع نظام المسلمين، وإنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاها الله عليه، فأرادوا رد الأمور على إدبارها. ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقه والنعش لسنته[5] .

(ومن خطبة له عليه السلام)

في رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هوان الدنيا أمين وحيه، وخاتم رسله، وبري رحمته، ونير نقمته.

أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فان شغب شاغب استعتب[6] فإن أبى قوتل. ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

---

1 ملومة "من لومة" مبالغة في لامه أي غير ملوم عليها بالنفاق.

2 يأزر: يرجع.

3 تمالؤوا اتفقوا وتعاونوا. والسخطة "بالفتح" الكراهة وعدم الرضاء. والمراد من هؤلاء من اتفق عليه من طلحة والزبير رضي الله عنهما والمنتمين إليهما.

4 فيالة الرأي "بالفتح" ضعفه. وافاها عليه: أرجعها إليه.

5 النعش مصدر نعش إذا رفعه.

6 الشغب: تهيج الفساد. واستعتب: طلب منه الرضاء بالحق.

ألا وإني أقاتل رجلين: رجلاً ادعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه. أوصيكم بتقوى الله فإنها خير ما تواصى العباد به، وخير عواقب الأمور عند الله. وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة [1]، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر [2] والعلم بمواضع الحق. فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تجلوا في أمر حتى تتبينوا، فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غيراً [3].

ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم، ولا منزلكم الذي خلقتكم له ولا الذي دعيتم إليه. ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها. وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها. فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطماعها لتخويفها. وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها وانصرفوا بقلوبكم عنها. ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما روي عنه منها [4]. واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه. ألا وإنه يسركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم. ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء

---

1 أهل القبلة من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصلي معنا إلى قبلة واحدة.

2 أي لا يحمل علم الحرب ورابتها لقتال أهل القبلة إلا أهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الإمام ومن معه، أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله.

3 أي إذا اتفق أهل الحل والعقد من المسلمين على إنكار شيء عدلنا إلى حكمهم وغيرنا حكمنا متى كان اتفاقهم لا يخالف نصاً شرعياً.

4 الخنين "بالخاء المعجمة" ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف. وزوى: أي قبض.

حافظتم عليه من أمر دنياكم. أخذ اللّه بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر.

(ومن كلام له عليه السلام)

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أيها الناس إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب[1] ، وقد واللّه أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك.

لقد كنت أمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت أمس ناهياً ، فأصبحت اليوم منهياً. وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

(ومن كلام له عليه السلام)

بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال:

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا. أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، بلى إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها[2] ، فإذاً أنت قد بلغت بها الآخرة. فقال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد ،

---

1 نهكته الحمى: أضعفته وأوهنته، أي كنتم مطيعين حتى أضعفكم الحرب فجبنتهم مع أنها في غيركم أشد تأثيراً. وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم بإجابتهم فكأنهم أمروه ونهوه فامتثل لهم.

2 اطلع الحق مطلعة: أظهره حيث يجب إن يظهر.

قال وما له؟ قال لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال علي به، فلما جاء قال:

يا عدي نفسه[1] لقد استهام بك الخبيث، إما رحمت اهلك وولدك. أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك. قال:

ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره[2].

(ومن خطبة له عليه السلام)

أما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم علي من الحق مثل الذي عليكم، فالحق أوسع الأشياء في التواصف[3]، وأضيقها في التناصف. لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد إن يجري له ولا يجري عليه لكان لك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه. ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم

---

1 عدي "تصغير عدو" وفي هذا الكلام بيان أن لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء القصد فيها.

2 يقدروا أنفسهم أي يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغنى في الاقتصاد وصرف الأموال في وجوه الخير ومنافع العامة وتسلية للفقير على فقره حتى لا يتبيغ أي يهيج به ألم الفقر فيهلكه.

3 يتسع القول في وصفه حتى إذا وجب على الإنسان الواصف له فرض من أداءه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها.

عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله. ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً. ولا يستوجب بعضها إلا ببعض[1].

وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لإلفتهم وعزاً لدينهم. فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن[2] فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليها. وأجحف الوالي برعيته، واختلفت هنالك الكلمة. وظهرت معالم الجور. وكثر الإدغال في الدين[3] وتركت محاج السنن. فعمل بالهوى. وعطلت الأحكام. وكثرت علل النفوس. فلا يستوحش بعظيم حق عطل[4]. ولا لعظيم باطل فعل. فهنالك تذل الأبرار وتعز الأضرار، وتعظم تبعات الله عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحد

---

1 فحقوق العباد التي يكافئ بعضها بعضاً ولا يستحق احد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة ما يستحقه هي من حقوقه تعالى أيضاً.

2 ذل الطريق "بكسر الذال" محجته وجرت أمور الله إذلالها وعلى إذلالها أي وجوهها. والسنن: جمع سنة. وطمع مبنى للمجهول.

3 الإدغال في الأمر: إدخال ما يفسده فيه. ومحاج السنن: أوساط طرقها.

4 أي إذا عطل الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب لتعودها على تعطيل الحقوق وأفعال الباطل.

وإن اشتد على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم. وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فليته، بفوق أن يعاون على ما حمله الله من حقه[1]، ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون[2] بدون أن يعين على ذلك إن يعان عليه.

(ومن كلام له عليه السلام)

كلم به عبد الله بن زمعه وهو من شيعته وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً، فقال عليه السلام: إن هذا المال ليس لي ولا لك. وإنما هو فيء للمسلمين[3] وجلب أسيافهم، فإن شركاهم في حربهم كان له مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم.

(ومن خطبة له عليه السلام)

في المسارعة إلى العمل:

فاعلموا وأنتم في نفس البقاع[4] والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة. والمدبر يدعى، والمسيء يرجى. قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل،

---

1 بفوق أن يعاون إلخ أي بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة أي يستغني عن المساعدة.

2 اقتحمته: احتقرته. بدون أن يعين أي بأعجز أي يساعد غيره.

3 الفيء الخراج والغنيمة. وشركه "كعلمه": شاركه والجناة "بفتح الجيم" ما يجنى من الشجر أي يقطف.

4 نفس "بالتحريك" أي سعة البقاع. وصحف الأعمال منشورة لكتابة الصالحات والسيئات. وبسط التوبة: قبولها. والمدبر أي المعرض عن الطالعة يدعى إليها. والمسيء برجى إحسانه ورجوعه عن إساءته. وخمود العمل: انقطاعه بحلول الموت.

وينقضي الأجل، ويسد باب التوبة، وتصعد الملائكة[1] فأخذ امرؤ من نفسه لنفسه[2]. وأخذ من حي لميت، ومن فان باق، ومن ذاهب لدائم. امرؤ خاف الله[3] وهو معمر إلى أجله، ومنظور إلى عمله، امرؤ ألجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها[4]، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله وقادها إلى طاعة الله.

(ومن كلام له عليه السلام)

في شأن الحكمين وذم أهل الشام :

جفاة طغام[5]، وعبيد أقزام. جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب، ممن ينبغي أن يفقه ويؤدب[6]، ويعلم ويدرب، ويولي عليه ويؤخذ على يديه. ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوؤوا الدار.

---

1 صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة.

2 أخذ أمر بصيغة الماضي أي فليأخذ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله فاعملوا، أي لو عملتم لأخذ امرؤ، وأخذه من نفسه تعاطي الأعمال الجليلة لنفسه أي لتسعد بها نفسه. والحي والميت هو المرء نفسه ولكنه في حياته قادر على العمل فإذا مات فليس له إلا ما أخذه من حياته.

3 امرؤ خاف الخ أي الناجي هو امرؤ خاف الله فأدى الواجب عليه له وللناس وهو في مهلة الحياة تمتد به إلى أجله. ومنظور أي ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره يثيبه على عمله.

4 زمها أي قادها بقيادها.

5 الجفاة "بضم الجيم": جمع جاف، أي غليظ فظ. والطغام "كسحاب": أوغاد الناس. والعبيد كناية عن رديء الأخلاق. والأقزام: جمع قزم "بالتحريك" أرذال الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية. والشوب الخلط كناية عن كونهم ليسوا من صراحة النسب في شيء.

6 ممن ينبغي أي أنهم على جهل فينبغي أن يفقهوا ويؤدبوا ويعلموا فرائضهم ويمرنوا على العمل بها. تبوؤوا الدار أي نزلوا المدينة المنورة، كناية عن الأنصار الأولين.

ألا وإن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما تكرهون[1] ، وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: " إنها فتنة فقطعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم "فإن كان صادقاً[2] فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة. فادفعوا في صدر عمرو ابن العاص بعبد الله بن العباس، وخذوا مهل الأيام وحوطوا قواصي الإسلام. ألا ترون إلى بلادكم تغزى. وإلى صفاتكم ترمى.

(ومن كتاب له عليه السلام)

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه:

روى أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين دينارا فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت كتاباً وأشهدت فيه شهوداً ، فقال

---

1 اقرب القوم يريد به أبا موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس، وهو لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخديعة فيكون أقرب إلى موافقة الأعداء على أغراضهم وهو ما يكرهه، أصحاب أمير المؤمنين خصوصاً وقد عاهدوه بالأمس "أي عند إعداد الجيش للحرب" يقول: إن الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسي وشيموا أي اغمدوا السيوف ولا تقاتلوا. يثبط بذلك أصحاب علي عن الحرب.

2 إن صح قول أبي موسى أنها فتنة ولم يكرهه احد على الدخول فيها فقد اخطأ بمسيره إليها وكان عارفاً بالحق ونطق بالباطل فهو متهم ويخشى إن يكون منه مثل ذلك في الحكم، وقوله فادفعوا إلخ أي اختاروا ابن عباس حكماً فإنه كفؤ لعمرو بن العاص. وخذوا مهل الأيام في فسحتها فاستعدوا فيها بجمع قواكم وتوفير عددكم وتجنيد جيوشكم. وحوطوا قواصي الإسلام أي أحفظوها من غارة أهل الفتنة عليها، واجعلوا كل قاصية لكم لا عليكم. وقاصي الإسلام أطرافه. ورمى الصفاة "بفتح الصاد" كناية عن طمع العدو فيما باليد. وأصل الصفاة الحجر الصلد يراد منها القوة وما يحميه الإنسان.

شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين. قال فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له: يا شريح إما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصاً[1]، ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة، إما أنك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق. والنسخة: "هذا ما اشترى عبد ذليل من عبد قد أزعج للرحيل، اشترى منه داراً من دار الغرور من جانب الفانين، وخطة الهالكين، ويجمع هذه الدار حدود أربعة: الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي، الحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار[2]، اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة[3]، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعنة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال على المال فأكثر، وبنى وشيد وزخرف، ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد أشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب. إذ وقع

1 ذاهباً مبعداً.

2 يشرع أي يفتح في الحد الرابع.

3 الضراعة الذلة. والدرك "بالتحريك": التبعة، والمراد منه ما يضر بملكية المشترى أو منفعته بما اشترى ويكون الضمان فيه على البائع. ومبلبل الأجسام مهيج داءاتها المهلكة لها. ونجد بتشديد الجيم أي زين، واعتقد المال اقتناه.

الأمر بفصل القضاء "وخسر هنالك المبطلون" شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى بعض أمراء جيشه:

فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب، وإن توافت الأمور إلى الشقاق والعصيان[١] فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فإن المتكاره[٢] مغيبة خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان

وان عملك ليس لك بطعمة[٣] ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك. ليس لك أن تفتات في رعية[٤] ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه إلي، ولعلي أن لا أكون شراً ولاتك والسلام[٥].

---

1 توافى القوم وافى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم، أي وإن اجتمعت أهواؤهم إلى الشقاق فانهد أي انهض.

2 المتكاره: المتثاقل بكراهة الحرب وجوده يضر أكثر الناس مما ينفع.

3 عملك أي ما وليت لتعمله في شؤون الأمة. ومسترعى يرعاك من فوقك وهو الخليفة.

4 تفتات أي تستبد، وهو افتعال من الفوت كأنه يفوت آمره فيسبقه إلى الفعل قبل أن يأمره. والخزان "بضم فتشديد": جمع خازن.

5 الولاة جمع وال من ولي عليه إذا تسلط، يرجو أن لا يكون من المتسلطين عليه ولا يحق الرجاء إلا إذا استقام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية:

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل[1] ، وخده بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أمرائه على الجيوش:

من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح[2] .

أما بعد فإن حقاً على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به[3] ، وأن يزيده ما قسم اللّه له من نعمة دنواً من عبادة وعطفاً على إخوانه. ألا وإن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سراً إلا في حرب[4] ، ولا اطوي دونكم أمراً إلا في حكم[5] . ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه[6] . وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك

---

1 الفصل الحكم القطعي. وحرب مجلية أي مخرجة له من وطنه. والسلم المخزية الصلح الدال على العجز. والخطل في الرأي الموجب للخزي. فانبذ إليه أي اطرح إليه عهد الأمان وأعلنه بالحرب. والفعل من باب ضرب.

2 جمع مسلحة أي الثغور لأنها مواضع السلاح. وأصل المسلحة قوم ذوو سلاح.

3 الطول "بفتح الطاء": عظيم الفضل، أي من الواجب على الوالي إذا خصه الله بفضل أن يزيده فضله قرباً من العباد وعطفا على الإخوان، وليس من حقه إن يتغير.

4 لا أكتم عنكم سراً إلا في الحرب فإنها خدعة.

5 طواه عنه: لم يجعل له نصيباً فيه، أي لا أدع مشاورتكم في أمر إلا في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً فحكم الله النافذ دون مشورتكم.

6 دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم.

وجبت للّه عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة[١]، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق[٢]، فإن أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوج منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد فيها عندي رخصة. فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح اللّه به أمركم[٣].

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى عماله على الخراج:

من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج.

أما بعد فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه[٤] لم يقدم لنفسه ما يحرزها. واعلموا أن ما كلفتم يسير وأن ثوابه كثير. ولو لم يكن فيما نهى اللّه عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه. فأنصفوا الناس من أنفسكم. واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية[٥] ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة. ولا تحسموا أحداً عن حاجته[٦]. ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف. ولا دابة يعتملون عليها[٧] ولا عبداً، ولا تضربن أحداً

---

1 أن لا تتأخروا إذا دعوتكم.

2 الغمرات: الشدائد.

3 أي خذوا حقكم من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم الحق عليكم وهو ما يصلح الله به أمركم.

4 من لم يحذر العاقبة التي يصير إليها لم يعمل عملاً لنفسه يحفظها من سوء المصير.

5 الخزان "بضم فزاي مشددة": جمع خازن.

6 لا تحسموا: لا تقطعوا. والطلبة "بالكسر": المطلوب.

7 أي لا تضطروا الناس لان يبيعوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم ولا من الدواب

سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه. ولا تدخروا أنفسكم نصيحة[١]، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة. وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم[٢]، فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا[٣]، وأن ننصره بما بلغت قوتنا، ولا قوة إلا بالله.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة:

أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز[٤] وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو النهار حين يسار فيها فرسخان[٥]. وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج[٦] وصلوا بهم

اللازمة لأعمالهم في الزرع والحمل مثلاً، ولا تضربوهم لأجل الدراهم، ولا تمسوا مال أحد من المصلين أي المسلمين أو المعاهدين بالمصادرة، إلا ما كان عدة للخارجين على الإسلام يصولون بها على أهله.

1 ادخر الشيء : استبقاه كي يبذل منه لوقت الحاجة.

2 وأبلوا أي أدوا، يقال أبليته عذراً ، أي أديته إليه.

3 يقال اصطنعت عنده، أي طلبت منه أي يصنع لي شيئاً.

4 تفيء، أي تصل في ميلها جهة الغرب إلى إن يكون لها فيء أي ظل من حائط المربض على قدر طوله، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله.

5 أي لا تزالوا تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر ما دامت الشمس بيضاء حية لم تصفر، وذلك في جزء من النهار يسع السير فرسخين.

6 يدفع الحاج، أي يفيض من عرفات.

الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتانين[١].

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى المنذر بن الجارود العبدي

(وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله):

أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله[٢]، فإذا أنت فيما رقي إلى عنك[٣] لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقي لأخرتك عتاداً[٤]، تعمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك. ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك[٥]، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر، أو ينفذ به أمر، أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة، أو يؤمن على خيانة[٦] فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله.

(المنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: "إنه لنظار في عطفيه مختال في برديه[٧] تفال في شراكيه").

---

1 أي لا يكون الإمام موجباً لفتنة المأمومين ونفرتهم من الصلاة بالتطويل.

2 الهدي "بفتح فسكون": الطريقة والسيرة.

3 رقى إلى: رفع وأنهى إلى.

4 العتاد "بالفتح": الذخيرة المعدة لوقت الحاجة.

5 الجمل يضرب به المثل في الذلة والجهل. والشسع "بالكسر": سير بين الإصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي كأنه زمام. ويسمى قبالاً ككتاب.

6 أي على دفع خيانة.

7 العطف "بالكسر": الجانب أي كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء. والبردان: تثنيه برد بضم الباء وهو ثوب مخطط. والمختال: المعجب. والشراكان: تثنية شراك ككتاب وهو

(ومن وصية له عليه السلام)

وصى بها شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى أهل الشام:

اتق الله في كل صباح ومساء، وخفف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال. واعلم انك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر[1]، فكن لنفسك ممانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة قامعاً[2].

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

أما بعد فإني خرجت من حيي هذا[3] إما ظالماً أو مظلوماً، وإما باغياً أو مبغياً عليه، وإني أذكر الله من بلغه كتابي هذا[4] لما نفر إلي فإن كنت محسناً أعانني وإن كنت مسيئاً استعتبني.

سير النعل كله. وتفال: كثير التفل أي النفخ فيهما لينفضهما من التراب.

1 سمت أي ارتفعت. والأهواء: جمع هوى وهو الميل مع الشهوة حيث مالت.

2 النزوة من نزا ينزو نزواً أي وثب. والحفيظة: الغضب. ووقمه فهو واقم أي قهره. وقمعه: رده وكسره.

3 الحي: موطن القبيلة أو منزلها.

4 واستعتبني طلب مني العتبي أي الرضا ، أي طلب مني أن أرضيه بالخروج عن إساءتي.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى الأسود بن قطيبة صاحب حلوان[١]:

أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه[٢] منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله[٣]، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة. وإنه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً. ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك[٤]، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك، والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم[٥]:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد.

---

1 إيالة من إيالات فارس.

2 اختلاف الهوى: جريانه مع الأغراض النفسية حيث تذهب، ووحدة الهوى: توجهه إلى أمر واحد وهو تنفيذ الشريعة العادلة على من يصيب حكمها.

3 أي ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك.

4 الاحتساب على الرعية: مراقبة أعمالها وتقويم ما اعوج منها وإصلاح ما فسد.

5 أي يمر بأراضيهم.

أما بعد فإني قد سيرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء اللّه، وقد أوصيتهم بما يجب للّه عليهم من كف الأذى وصرف الشذى[1]. وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمتكم من معرة الجيش[2] إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شبعة. فنكلوا من تناول شيئا عن ظلمهم[3]. وكفوا أيدي سفهاءكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم[4]. وأنا بين أظهر الجيش[5] فادفعوا إليَّ مظالمكم. وما عزاكم مما يغلبكم من أمرهم ولا تطيقون دفعه إلا باللّه وبي فأنا أغيره بمعونة اللّه إن شاء اللّه.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة.

أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي، وتكلفه ما كفي[6] لعجز حاضر ورأي متبر. وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا[7] وتعطيلك مسالحك

---

1 الشذى: الشر.

2 معرة الجيش: أذاه. والإمام يتبرأ منها لأنها من غير رضاه. وجوعة "بفتح الجيم": الواحدة من مصدر جاع.

3 نكلوا أي أوقعوا النكال والعقاب بمن تناول شيئاً من مال الناس غير مضطر. وافعلوا ذلك جزاء بظلم عن ظلمهم، وتسمية الجزاء ظلماً نوع من المشاكلة.

4 الذي استثناه هو حالة الاضطرار.

5 أي إنني موجود فيه فما عجزتم عن دفعه فردوه إلي أكفكم ضره وشره.

6 تضييع الإنسان الشأن الذي تولى حفظه وتجسمه الأمر الذي لم يطلب منه وكفاه الغير ثقة عجز عن القيام بما تولاه، ورأي متبر "كمعظم" من تبره تتبيراً إذا أهلكه أي هالك صاحبه.

7 قرقيسيا "بكسر القافين بينهما ساكن": بلد على الفرات. والمسالح "جمع مسلحة": مواضع الحامية على الحدود. ورأي شعاع "كسحاب" أي متفرق، أما الرأي المجتمع على

التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع. فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك، غير شديد المنكب [١]، ولا مهيب الجانب، ولا ساد ثغرة، ولا كاسر شوكة، ولا مغن عن أهل مصره [٢]، ولا مجز عن أميره.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها:

أما بعد فإن سبحانه بعث محمداً صلى اللّٰه عليه وآله نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين [٣]، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو اللّٰه ما كان يلقى في روعي [٤] ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى اللّٰه عليه وآله عن أهل بيته. ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان [٥] يبايعونه، فأمسكت يدي [٦] حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى اللّٰه عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى

صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد.

1 المنكب "كمسجد": مجتمع الكتف والعضد، وشدته كناية عن القوة والمنعة. والثغرة: الفرجة يدخل منها العدو.

2 أغنى عنه: ناب منابه، وقائد المسالح ينبغي أن ينوب عن أهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم. وأجزى عنه: قام مقامه وكفى عنه.

3 المهيمن: الشاهد، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين.

4 الروع "بضم الراء": القلب أو موضع الروع منه "بفتح الراء" أي الفزع.

5 راعني: أفزعني. وانثيال الناس: انصبابهم.

6 كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله وإهمالهم حدوده.

أرى فيه ثلماً[1] أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه.

(ومنه) إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها[2] ما باليت ولا استوحشت. وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي. وإني إلى لقاء الله وحسن ثوابه لمنتظر راج، ولكني آسي إن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها[3]، فيتخذوا مال الله دولاً. وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام[4]، وجُلد حداً في الإسلام

---

1 ثلماً أي خرقاً، ولو لم ينصر الإسلام بإزالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية في الأمصار. فالولاية يتمتع بها أياماً قلائل ثم تزول كما يزول السراب. فنهص الإمام بين تلك البدع فبددها حتى زاح أي ذهب الباطل وزهق ، أي خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام، ونهنهه عن الشيء: كفه، فتنهنه أي كف. وكان الدين منزعجاً من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال فكفه أمير المؤمنين ومنعه فأطمأن وثبت.

2 وهم طلاع الخ حال من مفعول لقيتهم، والطلاع "ككتاب" ملء الشيء، أي لو كنت واحداً وهم يملؤون الأرض للقيتهم غير مبال بهم.

3 آسي: مضارع آسيت عليه "كرضيت" أي حزنت، أي أنه يحزن لأن يتولى أمر الأمة سفهاؤها الخ، والدول "بضم ففتح": جمع دولة بالضم أي شيئاً يتداولونه بينهم يتصرفون فيه بغير حق الله. والخول "محركة": العبيد. وحرباً أي محاربين.

4 يريد الخمر، والشارب قالوا عتبة بن أبي سفيان حده خالد بن عبد الله في الطائف، وذكروا رجلاً آخر لا أذكره.

وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ[1] ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم[2] وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم.

ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت[3] ، وإلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى ممالككم تزوى، وإلى بلادكم تغزى. انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل[4] ، ويكون نصيبكم الاخس. وإن أخا الحرب الأَرِق[5] . ومن نام لم ينم عنه، والسلام.

(ومن كتاب عليه السلام)

إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه[6] لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس.

---

1 الرضائخ: العطايا. ورضخت له: أعطيت له، وقالوا إن عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبي فلما أعطاه أسلم.

2 تأليبكم: تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم. والتأنيب: اللوم، وونيتم أي أبطأتم عن إجابتي.

3 أطراف البلاد جوانبها قد حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها، وتزوى مبنى للمجهول من زواه إذا قبضه عنه.

4 قر "من باب منع أو ضرب" سكن أي فتقيموا بالخسف أي الضيم وتبوءوا أي تعودوا بالذل.

5 الأرق "بفتح فكسر" أي الساهر، وصاحب الحرب لا ينام، والدي ينام لا ينام الناس عنه.

6 التثبيط: الترغيب في العقود والتخلف.

إما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك، فإذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك[1]، واشدد مئزرك، واخرج من حجرك، واندب من معك، فان حققت فانفذ، وإن تفشلت فابعد. وأيم الله لتؤتين حيث أنت، ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك[2]، وذائبك بجامدك، وحتى تعجل عند قعدتك[3]، وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك. وما هي بالهوينى التي ترجو[4]، ولكنها الداهية الكبرى، يركب جملها ويذل صعبها، ويسهل جبلها، فاعقل عقلك[5]، واملك أمرك وخذ نصيبك وحظك، فإن كرهت فتنح إلى غير رحب، ولا في نجاة، فبالحري لتكفين وأنت نائم[6] حتى لا يقال ابن فلان. والله إنه لحق مع محق وما نبالي ما صنع الملحدون. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى عبد الله بن العباس وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية:

---

1 رفع الذيل ود المئزر كناية عن التشمير للجهاد، وكنى بحجره عن مقره. واندب أي ادع من معك فإن حققت أي أخذت بالحق والعزيمة فانفذ أي امض إلينا، وإن تفشلت أي جنبت فابعد عنا.

2 الخاثر الغليظ. والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة وأصل المثل لا يدري أيخثر أم يذيب.

3 القعدة "بالكسر": هيئة القعود. وأعجله عن الأمر حال دون إدراكه.

4 الهوينى: تصغير الهونى بالضم مؤنث أهون.

5 قعيدة بالعزيمة ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف.

6 لتكفين بلام التأكيد ونونه أي أنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا اسم لك ولا يسأل عنك، نفعل ذلك بالوجه الحري أي الجدير بنا أن نفعله.

أما بعد فإن المرء ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته [1] ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه. فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق، وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خلفت، وهمك فيما بعد الموت.

(ومن كتاب له عليه السلام)

إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

إما بعد فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله [2]، واجلس لهم العصرين فأفت المستفتي وعلم الجاهل، وذكر العالم. ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك، ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها، فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول ردها [3] لم تحمد فيما بعد على قضائها.

وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك [4] من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا.

---

1 قد يفرح الإنسان بنيل مقدور له لا يفوته، ويحزن لحرمانه ما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه، فإذا وصل إليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذة أو شفاء غيظ بل عد ذلك في عداد الحرمان، وإنما تفرح بما كان إحياء حق وإبطال باطل، وعليك الأسف والحزن بما خلفت أي تركت من أعمال الخير والفرح بما قدمت منها لأخرتك.

2 أيام الله: التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم. والعصران: الغداة والعشي تغليب.

3 فإنها أي الحاجة إن ذيدت أي دفعت ومنعت مبني للمجهول من ذاده إذا طرده ودفعه. وردها "بالكسر": ورودها وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأن حسنة القضاء لا تذكر في جانب سيئة المنع.

4 قبلك "بكسر ففتح" أي عندك. ومصيباً حال. والفاقة: الفقر الشديد. والخلة "بالفتح": الحاجة.

ومر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً فإن الله سبحانه يقول: "سواء العاكف فيه والبادي" فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج إليه من غير أهله. وفقنا الله وإياكم لمحابه[١]. والسلام.

(ومن وصية له عليه السلام

لعبد الله بن العباس

(عند استخلافه إياه على البصرة):

سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان[٢]، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار.

(ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الاشعري

(جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي):

فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم[٣] فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى، واني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً[٤] اجتمع به

---

1 محابه "بفتح الميم": مواضع محبته من الأعمال الصالحة.

2 الطيرة "كعنبة وفجلة": الفأل الشؤم. والغضب يتفاءل به الشيطان في نيل مأربه من الغضبان.

3 أي أن كثيراً من الناس قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية وهي حظوظ السعادة الأبدية بنصرة الحق.

4 أي موجباً للتعجب. والأمر هو الخلافة. ومنزله من الخلافة: بيعة الناس له ثم خروج طائفة منهم عليه.

أقوام أعجبتهم أنفسهم، فاني أداوي منهم فرحا أخاف إن يكون علقاً[1] ، وليس رجل – فاعلم – أحرص على جماعة أمة محمد صلى الله عليه وآله وألفتها مني[2] ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب[3] وسأفي بالذي وَأَيْت على نفسي[4] وإن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه[5] ، فان الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة. وإني لأعبد أن يقول قائل بباطل[6] ، وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله، فدع ما لا تعرف[7] فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء. والسلام.

(ومن كتاب له عليه السلام)

لما استخلف إلى أمراء الأجناد:

إما بعد فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه[8] ، وأخذوهم بالباطل فاقتدوه[9] .

---

1 القرح: الجرح مجاز عن فساد بواطنهم. والعلق "بالتحريك": الدم الغليظ الجامد.

2 أحرص: خبر ليس. وجملة فاعلم معترضة.

3 المآب: المرجع إلى الله.

4 سأوفي بما وأيت أي وعدت وأخذت على نفسي.

5 تغيرت خطاب لأبي موسى، يقول إذا انقلبت عن الرأي الصالح الذي تفارقنا عليه وهو الأخذ بالحذر والوقوف عند الحق الصريح.

6 عبد يعبد: كغضب يغضب عبدا كغضبا وزناً ومعنى، إن يغضبني قول الباطل وإفسادي لأمر الخلافة الذي أصلحه الله بالبيعة، ونسبة الإفساد لنفسه لأن أبا موسى نائب عنه، وما يقع عن النائب كما يقع عن الأصيل.

7 أي ما فيه الريبة والشبهة فاتركه.

8 أي حجبوا عن الناس حقهم فاضطر الناس لشراء الحق منهم بالرشوة، فانقلبت الدولة عن أولئك المانعين فهلكوا.

9 أي كلفوهم بإتيان الباطل فأتوه وصار قدوة يتبعها الأبناء بعد الآباء.

المراجع

١. د. محمد نور الدين عبد الرزاق، مبادئ علم الإدارة، سلسلة الكتاب الجامعي، جدة، بدون تاريخ.

٢. دوايت والدو، دراسة الإدارة العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

٣. د. علي محمد عبد الوهاب، مقدمة في الإدارة، معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٩٨٢.

٤. د. سيد الهواري، الإدارة، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٢.

٥. د. محمد عبد الفتاح ياغي، مبادئ الإدارة العامة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٣.

٦. د. حامد سوادي عطية، العملية الإدارية، معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٤٠٨.

٧. د. محمد سعيد عبد الفتاح، الإدارة العامة، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، ١٩٧٩.

٨. د. عبد الغني بسيوني عبد الله، أصول علم الإدارة، الدار المصرية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣.

٩. محمد بهجت جاد الله كشك، أسس الإدارة العلمية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠. د. ماجد راغب الحلو، علم الإدارة العامة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢.

١١. د. احمد صقر عاشور، الإدارة العامة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩.

١٢. د. علي السلمي، تطور الفكر التنظيمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥.

١٣. د. علي السلمي، العلاقات الإنسانية في الطباعة الحديثة، منشورات الأهرام الاقتصادية، القاهرة، ١٩٨٨.

١٤. د. إبراهيم القمري، الإدارة دراسة نظرية وتطبيقية، القاهرة، ١٩٨٢.

١٥. د. شوقي حسين عبد الله، أصول الإدارة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.

١٦. يعقوب نشوان، الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢.

١٧. د. حمدي أمين عبد الهادي، الإدارة العربية المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦.

١٨. د. حمدي أمين عبد الهادي، الفكر الإداري الإسلامي المقارن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦.

١٩. مولوي حسيني، الإدارة العربية، القاهرة، ١٩٧٣.

٢٠. محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ١٩٣٤.

٢١. الرائد محمد العلي، الوجيز في الإدارة العامة، الدار السعودية، الرياض، ١٩٨٤.

٢٢. محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام، معهد الدراسات العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٣. د. عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام بالمبادئ الدستورية الحديثة، الإسكندرية، ١٩٦٦.

٢٤. محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة محمد ماضي، بيروت، ١٩٦٤.

٢٥. د. سعيد عبد المنعم الحكيم، الرقابة على أعمال الإدارة في الشريعة الإسلامية والنظم المعاصرة، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٦. أبو يعلى محمد بن حسين، الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٦٦.

٢٧. د. احمد شلبي، المجتمع الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٨. د. علي عبد الواحد وافي، حقوق الإنسان في الإسلام، القاهرة، ١٩٦٧.

٢٩. محمد كرد علي، الإسلام والحضارة الغربية، ج٢، ١٩٦٨.

٣٠. د. سليمان الطماوي، السلطات الثلاث في الدساتير العربية وفي الفكر السياسي الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣.

٣١. طالب الحسيني الرفاعي، مع الإمام في نهجه، بيروت، ١٧٩٨.

٣٢. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، دار الشروق، لبنان، ١٩٨٢.

٣٣. محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، لبنان ١٩٧٢.

٣٤. محمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع السياسي، الإسكندرية، ١٩٧٥.

٣٥. د. عبد الغفور يونس، دراسات في الإدارة العامة، الإسكندرية، ١٩٦٩.

٣٦. د. صبحي الصالح، نهج البلاغة، بيروت دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠.

٣٧. عبد المحسن فضل الله، نظرية الحكم والإدارة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

٣٨. الإمام محمد عبده، نهج البلاغة، دار البلاغة، بيروت، ١٩٨٩.

٣٩. محمد رضا، الإمام علي ابن أبي طالب، بيروت، ١٩٧٦.

٤٠. عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٤١. عبد علي آل سيف، المجتمع وجهاز الحكم في الإسلام، دار التربية، بغداد، ١٩٦٩.

٤٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣.



مرجع انجليزي:

Donald J. Clough, Concepts in Management Science, prentice – Hall, india 1968

مرجع انجليزي:

D. Gvishinai, Organization and Management, Moscow: progress publishers, 1972.

مرجع انجليزي:

Irving M. zeitin: ideology and the Development of Soviological theory (Engle Wood- Cliff, prentice – Hall, 1968).

(((.....الكاتب في سطور.....)))

د. حسن الشيخ

- من مواليد الإحساء ـ الهفوف. المملكة العربية السعودية
- بكالوريوس في الآداب ـ إعلام ـ صحافة.
- جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٩٨٣.
- ماجستير في الاتصال الإداري ـ جامعة مشيجين الحكومية ـ أمريكا ١٩٨٨.
- دكتوراه في الإدارة العامة من جامعة إمباسدور الأهلية ـ أمريكا ـ ٢٠٠٥
- شارك بالكتابة في العديد من الصحف والمجلات المحلية والخليجية.
- عمل صحافياً غير متفرغ في العديد من الصحف السعودية والإلكترونية.
- عضو الجمعية السعودية للإدارة ١٩٩٨.
- عضو الجمعية السعودية للإعلام والاتصال، ٢٠٠٤.
- عضو الجمعية العربية لإدارة الموارد البشرية ٢٠٠٥.
- عضو مؤسس لاتحاد الكتاب العرب على الإنترنت، ٢٠٠٥.
- مستشار التحرير لجريدة ديوان العرب الإلكترونية ٢٠٠٤.
- عضو هيئة التدريس بمعهد الإدارة العامة. الدمام. ١٩٨٣.
- منسق قطاع الإدارة العامة بمعهد الإدارة العامة بالدمام ٢٠٠١.
- منسق الحلقات التطبيقية العليا بالمعهد ٢٠٠٥.
- أعد العديد من الدراسات الاستشارية الإدارية للكثير من الأجهزة الحكومية.

أولاً : مؤلفاته الإسلامية :

١. السيدة زينب، بطولة ورسالة – المؤسسة الفكرية للمطبوعات، بيروت ١٩٩٢.

٢. ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي – دار البيان العربي، بيروت ١٩٩٣.

٣. آخر الفلاسفة، مؤسسة الفكر الإسلامي – بيروت ٢٠٠٣.

٤. فيلسوفان ثائران، دار الرأي العربي، بيروت، ٢٠٠٤.

٥. أول المجتهدين، دار الرأي العربي، لبنان ٢٠٠٨

ثانياً : مؤلفاته الإدارية :

١. دليل رجل الشرطة الميداني – الدمام ١٩٩٠.

٢. الإدارة بين يديك – الدمام ١٩٩٢.

٣. السلوك الإداري بين النظرية والتطبيق- الدمام ١٩٩٣.

٤. معجم مصطلحات الإدارة- الشركة الشرقية للصحافة، الدمام ١٩٩٧.

٥. التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية، كتيب المجلة العربية، الرياض، ٢٠٠٤.

٦. الحكومة الالكترونية، دراسة التجربة التقانية للمملكة، الرياض ٢٠٠٦.

٧. الحكومة الإلكترونية في دول الخليج العربي، دار الوفاء للنشر والطباعة، مصر، الإسكندرية، ٢٠٠٨.

ثالثاً: مؤلفاته الأدبية:

١. ولادة فارس قبيلة المطاريد (قصص) – الدمام ١٩٩٨.

٢. اختفاء قدوسة (قصص) – الدمام – ١٩٩٩.

٣. الفوارس (رواية) – دار الكنوز الأدبية، بيروت ٢٠٠٣.

٤. حافلة الإحساء (قصص)، النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية، الدمام، ٢٠٠٤.

٥. غيمة البدري، (مجموعة قصصية) دار فراديس للنشر، البحرين، ٢٠٠٧.

٦. المنارة، رواية، دار الكنوز الأدبية، لبنان بيروت، ٢٠٠٩



الفهرس